مأساة

الملك لير

الرؤية الشكسبيرية في « الملك لير »

ما من عصر انتعش فيه المسرح، إلا وانتعشت فيه مسرحيات شكسبير، حتى لقد قيل ان الفترات التي لم تُعنَ كثيراً بشكسبير في القرون الثلاثة الأخيرة هي فترات المسرح المظلمة. هذا الرأي الذي يبديه الناقد البولوني يان كوت، لا يقصد به تاريخ الدرامة الانكليزية وحدها بل تاريخ الدرامة في كل بلد متحضر في العالم.

لماذا؟ لأن شكسبير - وهذا سرّه العجيب - معاصر دائماً. أي أن له مغزاه المتجدد مع انبثاق كل همّ جديد. وإذا كان القرن العشرون من أشد فترات التاريخ اهتماماً بالقضايا السياسية، وأشدها بحثاً عن المنطويات السياسية في الإبداع الفني، فإن انتعاش شكسبير فيه دليل على معانيه السياسية المعاصرة.

والمعاني السياسية تتعلق بحرية الفرد ونوازع السلطة. إنها تلازم الصراع الدائر في الدخيلة من أروقة الحكم وما يوازي ذلك من صراع يدور في الدخيلة من نفس الإنسان. وفي شكسبير يكرر العالم الأصغر (الإنسان) العالم الأكبر، أو بالعكس. فالقضايا الكبرى تبدو وكأنها انعكاس متبادل بين الطبيعة، باتساعها الخارق ودواخلها الغامضة، وبين الإنسان وطرقه في الحياة إزاء المصير - أو إزاء الله. الفرد قد يكون كل شيء، وقد يكون لا شيء. في «هاملت»، يتعملق الفرد في مشكلاته إزاء السلطة وإزاء الكون.

وفي «الملك لــير» تتعملق السلطة ويتعملق الكـون إزاء الفــرد. ولكن الفرد هو المحك الأخير لكـل معنى. المصير، سيـاسياً أو تـاريخياً، هـو مصـير الإنسان، مصـير البشريـة كلها. ومسـرحية «الملك لـير» تنـاقش هذا المصير، وقد تصدعت الأرض الصلبـة تحت أقدام البشر. والـرؤية الشكسبيـرية واردة، لأنها لا تنكفىء إزاء الـظلام الذي يعتـور الإنسان في فترات من تاريخه. فالتاريخ مـليء بالفتـرات السوداء التي يقف فيهـا الأبـطال في وجـه تيـارات من الشر والعنف ـ في وجـه الانهيـار الخلقي الـذي يفتّت هيكـل الحكم كـما يهـدّم أركـان المجتمـع. إن مــوضـوع «الملك لـير»، الذي يـواجهنا بـدلائـل معـاصـرتـه، هـو سقـوط العـالم وتفسخـه: تجتاح العـاصفة المجتمـع، فتضطرب الـدولة، وتبـرز قـوى الجحود والخيانة والجشع ضـارية كـاسحة، وإذا أهـل الحق يصيرون في عـذابهم إلى الجنون، أو قنـاع منه، ويجـول الباطـل بالتـآمـر والكـذب والغـدر جـولتـه نحـو الفـوضى المحتـومـة، لكي تعم الجـريمــة، ويعمّ العـذاب. ولا ينتهي الموقف في هـذه المأسـاة إلى إنقـاذ حقيقي لأحـد، ونبقى نحن في قبضـة الرعب. ففي هـذه القصيدة الـرهيبة، التي ربمـا كانت أضخم وأهول ما أنتجته العبقـرية المسـرحية منـذ ايسخلس حتى يـومنـا الحــاضر، ينتهي ذوو الخـير إلى الجنــون أو العمى أو المشنقـة. واللعنـات التي يصبها الملك الشيـخ على رأسي ابنتيـه غونـريـل وريغن إنمـا هي إدانة غضبى للبشـرية، وإشـارة جارحـة إلى ما بـين الإنســان والطبيعة من تواطؤ على الرذيلة، والتعذيب، والقتل.

لم يختلف رأي في مســرحيـة، كــما اختلف في «الملك لـير». منهم من اعتبرها أعظم ما كتب شكسبـير إطلاقـاً، ومنهم، كتولستـوي، من اتهمهـا بالـركاكـة والسخف. وقد شكـا أكـثر النقـاد والمخـرجـين حتى أواخـر القرن المـاضي من صعوبـة تقـديم «الملك لـير» عـلى المسـرح. فعبث بهـا نـاحـوم تيـت، في أواخـر القـرن السـابـع عشر، وحـوّرهــا ليجعلها مفرحة، وذلك بتزويج كورديليا من ادغـار، بدلاً من السمـاح

بمصرعها في النهاية ودخولها ميتة محمولة بين ذراعي أبيها لير ـ مع أن هـذا المشهد، عـلى ما فيـه من فـاجعـة، من أهم الـدلائـل عـلى معنى المأساة بكاملها. وقد قال البعض ان المسـرحية من الضخـامة بحيث لا يستـطيع المسـرح أن يفيها حقهـا، فتبقى قـراءتهـا، كقصيـدة، تجـربـة أعمق وأروع من أية مشاهدة.

غـير أنها أنصفت في هذا القـرن، بما تيسَّر للمسـرح الحديث من إمكـانيات الاخـراج، وللتفهم الجـديـد لأوجـه الـدرامـة التي تتخـطى المأساة إلى اللامعقول في تصوير قسـوة الحياة وعـذاب الإنسان في عصر اتصف بـالاضطراب والتـزعزع والـلاعقل. في المسـرح الجـديـد، كـما يقول يان كوت، «لا توجد شخصيات بـالمعنى الرومـانسي أو الواقعي، وعنصر المـأسـاة يحـل محله عنصر الغـروتسكيَّـة، وهي أشـد قسـوة من المأساة». و«الملك لير» غروتسكية تهزأ بالمتعارف التقليـدي للشخصية، ولا تنتهي إلى الكثارثس (التطهير) الأرسطوطاليسي. فهذه المجسَّـدات القصوى لخفايا النفس وهذه الاسقـاطات العنيفـة لتجربـة الشرّ، تدوّم بنـا في دوامـات تكـاد تكـون في غنى عن مبـــررات العقـل والمنـطق. وتنتهي بنـا إلى رحلة مجنونـة في الظلام عَبـر فواجـع الدنيـا، إلى قسـوة الإنسان الأخيرة. إننـا نمرّ بمحنة أيوب مـروراً عسيراً، ليـدفعنا شكسبـير لا إلى صـلاة كصـلاة لـير فحسب، بـل إلى تســاؤلات عن الإنســان والمصـير كتساؤلات أيـوب. إننا في عبـور من الجريمـة إلى الفـداء، من الخطيئة إلى الغفران، ولكن حين يكون للفداء والغفران مذاق الموت.

والمسرح في «لير»، أكـثر منه في أيـة مسرحيـة أخرى لشكسبـير، مسرح مطلق: المكان هو اللامكان وكـل مكان. والمشهـد هو الأرض، عنصر التـراب في كيان الـطبيعة، وقـد دفقت عليها قـوى النار والهـواء والماء. والإنسان، هذا العالم الأصغـر المكون من تـراب، يحتوي العـالم الكبير الضاجّ العـاتي، ويعكس هذه الضجـة وهذا العتـوّ وقد تفجـرت

فيـه قـوى عنـاصره الأوليـة، ضـريـرة هـوجـاء. إذا فقـدت القـوى انسجامها، اختلَّ الكون. واختلَّت الدولة. واختـل المجتمع. وتهـاوت في النهـاية الإنسـانية نفسهـا، وإذا الإنسان كـالفـلاة فـريسـة الـطيـور الجارحة والحيوانات الكاسرة. ليس ثمة مسرحية فيها ذكـر للحيوانـات والجـوارح كما في «لـير». لقد مـلأ شكسبير رؤيتـه برمـوز الرعب: إنـه يـذكر أربعـة وستين حيـواناً مختلفـاً ١٣٣ مرة، مشبهـاً بذلـك، ضمناً، حياة الإنسان بحياة الضواري. والإنسـان في هذه الفـلاة البشريـة التي هي امتـداد لكيانـه، نجده، كـما تقول النـاقدة سبيـرجون، متمثـلاً في كنـايـات من «الجسـد وهـو يعُـذَّب، ويُضـرب، ويُختـرق، ويُلسـع، ويجلد، ويمطّ، ويسلخ، ويسمط، ويُحطّم في النهاية على المخلعة».

الشعـر الشكسبيـري الـذي هـو هنـا في أشـد عنفـوانـه، والفعـل المسرحي الذي يُتبـع الحَدَث بـالحَدَث بتـلاز عنيف، يتضافـران معاً في خلق هـذا المطهـر الـدنيـوي. ولا يبقى في النهـايـة أمـامنـا إلّا الأرض نفسهـا ـ خـاليـة وداميـة، حيث يستمـرّ الملك، والبهلول، والأعمى، والمجنون في حوارهم المأخوذ. إننا في تطواف أليم خـلال الظلام البـارد الـلامنتهي الذي يعصف بـالعالم ـ خـلال تلك الليلة الباردة التي، كـما يقـول البهلول، «ستحيلنا جميعـاً إلى بهاليـل ومجاذيب». وإننـا لنـطوف بحثاً عن المعنى في هذا المصـير. ولسوف نستمـر في التطواف مـع الملك الذي جنَّ لجحود بنـاته، وغلوسـتر الذي أدى غـدر ابنه الحـرام به إلى اقتـلاع عينيه، تـطواف الإنسان بـين المهد واللحـد، بين أقصى الأبّهـة وأقصى البؤس. هـل الإنسان «مجنيّ عليـه أكثر منـه جانيـاً»؟ هـل نحن للآلهة «كالذباب للصبية العـابثين يقتلوننـا ملهاة لهم»؟ إننـا نطوف مـع ادغـار بجنونـه المموَّه عبـر الفلوات، مع النغـل ادمونـد خـلال قصـور الخيـانة والغدر، مع «كنت» الوفي الشجاع الـذي لا يكف عن تفـاؤلـه حتى وهــو في الـدَّهَق، مــع اثنتــين من ارهب نســاء المســرح ريغن وغونريل ـ نستقصي معنى هذه الرحلة استقصاء وجـود العدل والـظلم،

أو عدم وجودهما. إننا نستقصي المعنى في عذاب الإنسان وسقوطه على أرضه الدامية.

ولعل يان كوت أفضل من يبرز جانباً من المعنى المعاصر، إذ يقول:

«هناك اثنتا عشرة شخصية رئيسية، ستّ منها خيّرة وعادلة، وست منها شريرة وظالمة. هذا التقسيم منطقي وتجريدي كما في المسرحيات الأخلاقية القديمة، غير أن «الملك لير» مسرحية أخلاقية حيث يتحطم الجميع في النهاية، الفضلاء مع الرذلاء، الظالمون مع المظلومين، المعذِّبون مع المعذَّبين. والتشريح يستمر إلى أن يخلو المسرح بالمرة. . . ولكن قبل أن يتم ذلك، يجب اقتلاع الشخصيات كلها من مراكزها الاجتماعية وجرّها إلى المهانة الأخيرة. عليها أن تبلغ الحضيض الصخري. وليس هذا السقوط مجرد أمثولة فلسفية، كقفزة غلوستر في هوّة موهومة. فموضوع السقوط يستمر به شكسبير بعناد، وتماسك، ويكرره أربع مرات على الأقل. فالسقوط هو، في الوقت نفسه، مادي وروحي، جسدي واجتماعي.

«في البدء كان هناك ملك ذو بلاط ووزراء. بعد ذلك، ليس هناك إلا شحاذون أربعة هائمون في الفلاة، تتناوشهم الرياح الغضبى والأمطار الهامية. والسقوط قد يكون بطيئاً، أو فجائياً: للملك لير أولاً حاشية من مئة رجل، ثم خمسين، ثم رجل واحد فقط. وكنت ينفيه الملك بإيماءة ساخطة واحدة من يده. غير أن عملية التحقير هي دوماً نفسها: كل ما يميز الإنسان ـ من لقب، أو مكانة اجتماعية، أو حتى اسم ـ يضيع. لا حاجة للأسماء بعد. لقد أمسى كل امرىء ظلاّ لنفسه، إنساناً، لا غير:

لير: هل هنا من يعرفني؟ هذا ليس لير: [أيمشي لير هكذا؟ أينطق هكذا؟ . . .[من له أن يخبرني من أنا؟

بهلول: ظل لير.

ويسأله السؤال نفسه مرة أخرى، ونسمع الجواب نفسه. يعود «كنت» المنفي إلى ملكه:
لير: ها، من أنت؟

كنت: إنسان يا سيدي.

والإنسان العاري لا اسم له. قبل أن تبدأ المسرحية الأخلاقية، على كل إنسان أن يكون عارياً، عارياً كالدودة..

«والسقوط معناه العذاب والألم. قد يكون العذاب مادياً أو روحياً، أو كليهما معاً. لير يفقد عقله. و«كنت» يوضع في الدهق. وغلوستر تُسمل عيناه ويحاول الانتحار. فلكي يغدو الإنسان عارياً، أو قل لكي يغدو الإنسان إنساناً لا غير، لن يكفي أن يجرّد عنه الإسم والمكانة والكيان. لا بد من تشويهه وتذبيحه جسدياً ومعنوياً، وتحويله، كالملك لير، إلى «حطام».

من خلال مشاهد الظلام هذه تتوقد الرؤى الكثيرة الأخرى لتعقد لنا التجربة وتضاعف من أبعادها. فالرؤية الشكسبيرية بعد هذا كله، مهما تكن رؤية غضب واشمئزاز، فإنها أيضاً رؤية رحمة وشفقة عميقة.

بعض هذا نراه في الصلة الغريبة القائمة بين الملك وبهلوله، وهي التي تعطي المسرحية كلها مذاقاً خاصاً. فهي أحياناً صلة تعاطف عذب، وهي أحياناً صلة تبادل مر. وعلى كثرة المهرجين الذين وضعهم شكسبير في مسرحياته، ليس بينهم من له هذا العمق، وهذا الحضور، وهذه الضخامة التي نجدها في بهلول لير. إنه صوت العقل، وصوت السخرية، معاً. صوت الضحك وصوت التقريع. إنه الوجه الآخر لشخصية الملك. لا الحكمة كلها حكمة، ولا

الحماقة كلها حماقة، والتبادل بينهما أسهل من تقليب وجهي قطعة النقد. البهلول ضمير لير: حلمه وكابوسه معاً. والصحبة بينهما في رحلة الليل والعاصفة، هي صحبة الحب والتضحية. ولكنها أيضاً صحبة مؤلمة، يكاد البهلول فيها، وهو يحاول الترويح عن الملك، أن يزيد من غضبه ويهرول به صوب الجنون. ومع هذا، فالولاء والشفقة هما الطاغيان، ولير في أسوأ محنته، والبرد والعاصفة يأخذان منه كل مأخذ، يلتفت إليه ليقول: «بهلول يا مسكين، في قلبي شِقّ ما زال يأسى عليك».

إن لير، إذ تشتد أزمته، يجابه بؤس الإنسان بتلك المشاركة الفعلية التي تجعل الرحمة منجاة للنفس والتي بدونها تكون الحياة فعلاً من عنف عشوائي لا ينتهي:

«لير (مخاطباً ادغار، وقد تشرد هذا في زي شحاذ مجنون): لخير لك أن تكون في القبر من أن تتحمل قسوة السماوات بجسدك المعرَّى. أهذا هو الإنسان كله؟ تأمله جيداً. لستَ مديناً للدودة بحرير، للثور بجلد، للخروف بصوف، للقط بعطر. ها، نحن الثلاثة هنا ملفّقون. وأنت، أنت الشيء الحقيقي. فما الإنسان بلا رياش إلا هذا الحيوان المشطور الأجرد المسكين الذي هو أنت. عنّي، عني أيتها الاستعارات، تعال، فك ازراري هذه. (يمزق عنه ثيابه)».

في عالم الشهوة، والعجرفة، وغلاظة القلب، عالم الطموح والسلطة، حيث النفاق، والشقاق، والقتل، والانتحار، ينحاز لير في جنونه إلى البؤساء والفقراء والمستضعفين: هؤلاء هم الحقيقيون، هم ذوو الفضيلة، ذوو القلوب السليمة، ذوو الولاء والرأفة. وخطاياهم ما عادت خطايا. «إني أعفو عن ذلك الرجل... أتموت بسبب الزنى؟ كلا: حتى البغاث يفعلها، والذبابة المذهبة الصغيرة تفسق أمام عيني...» وهو يناصر أهل «الثياب المهلهلة» على الحكّام ذوي

«عباءات الفراء»:

لير : انـظر إلى هـذا القـاضي وهـو يـعنّـف ذلـك اللص التـافـه... ليتبـادلا المكـان، واحـزر يـا شـاطـر أيهـما القـاضي وأيهـا اللص؟ أرأيت كلب فـلاح ينبح عـلى شحاذ؟

غلوستر : نعم، سيدي.

لير : والمخلوق يـركض هـربـاً من الكلب؟ لـك في ذلـك أن ترى مَثَل السلطة العظيم: الكلب في الوظيفة مطاع.
أيهـا الشرطي النـذل، ارفع يـدك الداميـة. لم تجلد تلك البغي؟ عـرِّ ظهـرك أنت، فـأنت ملتهب الشبق لتفعـل معهـا مـا أنـت تجلدهـا مـن أجله. المـرابي يـشنـق الغشاش.....

ما ثمة من مذنب أبداً، أقول، أبداً. ولأشهَدّن على ذلك».

وإذا تحتم على ذوي الخير أن يعـانوا الشقـاء، فإن معـاناتهم تنهض بهم إلى تلك القمم الخلقيـة التي ترفـع اللعنة عن الحيـاة، وتجعل لهـذا الجحيم الأرضي منفذاً يؤدّي إلى حرية الروح، تلك الحـرية التي تؤكـد عـلى الإنسانيـة، وقد أردفتهـا الشجاعـة والمجالـدة والمغفـرة، رغم مـا يهـددها من مـوت. هذه كـورديليا الجميلة لا تكـاد تنطق في المسـرحية كلهـا بأكـثر من مئـة بيت، ولكن حضـورهـا نحسّ بـه طيلة مشـاهـد المأساة. ومشهد الغفران بينها وبين أبيها، ثم المشهد الـلاحق وقد وقـع كلاهما في الأسر ـ ليس في تاريخ المسرح كله ما يضاهيهما رقـة وعاطفـة مشبوبة، في وسط عـالم من الضغينة والنـزاع والفتك. وإذا كـان الملك بعد قليل سيدخل علينا حاملاً كورديليـا المشنوقـة بين ذراعيـه، لتنغلق أخيراً دائرة الشرّ انغلاقاً تـاماً، فـإن في موتهـا جلال الشهـادة والفداء،

وكسراً في الوقت نفسه لطوق الظلام. إننا في قبضة الرعب، ولكن تجربة الفداء ترتفع بنا إلى حيث يصبح التخطي ممكناً.

بغداد أيلول ١٩٦٨ **جبرا إبراهيم جبرا**

أشخاص المسرحية

لير، ملك بريطانيا	Lear, King of Britain
ملك فرنسا	King of France
دوق برغنديا	Duke of Burgundy
دوق كورنوول، زوج ريغن	Duke of Cornwall, Husband to Regan
دوق ألبني، زوج غونريل	Duke of Albany, Husband to Goneril
إيرل أوف كنت	Earl of Kent
إيرل أوف غلوستر	Earl of Gloucester
ادموند، ابن غير شرعي لغلوستر	Edmund, Bastard son to Gloucester
كرن، من رجال البلاط	Curan, A Courtier
ازوالد، رئيس خدم غونريل	Oswald, Steward to goneril
شيخ، من تابعي غلوستر	Old Man, Tenant to Gloucester
طبيب	Doctor
بهلول	Fool
ضابط، مستخدم لدى أدموند	An Officer, Employed by Edmund
مرافق، يعني بشؤون كورديليا	Gentleman, Attendant on Cordelia
منادي	A Herald
خدم لدوق كورنوول	Servants to Cornwall
غونريل، ريغن، كورديليا } بنات لير	Goneril, Regan, Cordelia } Daughters to Lear

فرسان في حاشية الملك لير، ضباط، رسل، جنود، خدم وحشم.

المشهد بريطانيا في عهدها الوثني

الفصل الاول

المشهد الاول	ايوان في قصر الملك لير . يدخل كنت ، وغلوستر ، وادموند

كنت	كنت أظن أن الملك يفضّل دوق ألبني على كورنوول .

غلوستر	هذا ما كان دوماً يبدو لنا . أما الآن ، عند تقسيم المملكة ، فليس بظاهر أيّ الاثنين أرفع قدراً لديه . لقد وازن بين أسهمهما بحيث أنهما مهما دقّقا فلن يستطيعا أن يفاضلا بين الحصتين .

كنت	أليس هذا ابنك يا مولاي ؟

غلوستر	كنت مسؤولاً يا سيدي عن ولادته : لطالما خجلت بالاعتراف به حتى بتّ لا أستحي من ذلك .

كنت	لم أفهمك .

غلوستر	أم هذا الفتى فهمتني ، يا سيدي ، فارتفع بطنها ، وإذا هي تجد ولداً لمهدها قبل أن تجد زوجاً لفراشها . أتشمّ خطأً فيما جرى ؟

كنت	لن أتمنى لو أن الخطأ لم يقع ، ما دامت ثمرته على هذا الحسن .

غلوستر	ولكنّ لي ابنا شرعياً ، يا سيدي ، يكبر هذا بزهاء سنة ، أعزّ عليّ منه . جاء هذا الفتى إلى الدنيا مع بعض المجون قبل أن أرسل في طلبه ، غير أن أمه كانت جميلة . وكان لنا في صنعه لهو ومتعة ، فلأعترف بابن الزانية . يا ادموند ، أتعرف هذا السيد النبيل ؟

ادموند	لا يا مولاي .

غلوستر	إنّه سيدي اللورد كنت : تذكّر من اليوم فصاعداً أنّه صديقي الكريم .

ادموند ذلك واجبي نحو سيادتكم .
كنت سأحبك ، وأسعى إلى معرفة بك أفضل .
ادموند سيدي ، سأجهد في أن أستحق ذلك منكم .
غلوستر لقد غاب تسع سنوات ، وسيغيب عنا من جديد . الملك قادم .

(صدح أبواق . يدخل أحدهم حاملا توبجاً ، (١)
ثم الملك لير ، وكورنوول ، وألبني ، وغونريل ،
وريغان ، وكورديليا ، ومرافقون .)

لير غلوستر ، أدخل إلينا دوق فرنسا ودوق برغنديا .
غلوستر نعم يا مولاي .

(يخرج غلوستر وادموند)

لير وفي هذه الأثناء سنجهر بالخفيّ من مأربنا .
أنت ، ناولني الخريطة ! اعلموا أنّنا قد قسمنا
مملكتنا ثلاثاً : فقد وطدنا العزم على أن
ننفض عن شيخوختنا كل شغل وهمّ ،
مضفين إياهما على الفتيّين قدرة ، بينما نحن
نسعى نحو الموت دون عبء . يا ولدنا كورنوول .
وأنت يا ولدنا ألبني ، يا من لا تقلّ عنه حبّاً لنا ،
لقد صارت الآن مشيئتنا الراسخة أن نعلن
عن مهر كل من بناتنا ، اتقاءً من الآن
لكل نزاع في المستقبل . ان اميريْ فرنسا وبرغنديا ،
وكلاهما منافس عظيم على حب ابنتنا الصغرى ،
قد طال عليهما الأمد وخطب الود في بلاطنا :

---

(١) التويج مهيأ لكورديليا .

هنا سنعطيهما الجواب الفصل . أخبرْنَني يا بناتي ،
(حيث أنّنا الآن سنتخلى عن الحكم ،
وامتلاك الأراضي ، وهموم الدولة)
من منكنّ سنقول إنها تحبنا أكثر من أختيها ؟
فنجعل أغزر الجود حيثما
يضاف إلى حب الوالد حبّ أولاده له .
غونريل ، يا بكرنا ، تكلمي أنت أولاً .

غونريل سيدي ، أحبك أكثر مما تتحمل الألفاظ من فحوى .
حبّاً أعزّ من العين والحريّة والمدى ،
أثمن من كل نادر ونفيس ،
لا يقل عن الحياة رفلت بالزينة والحُسْن والشرف .
أشدّ ما يحبّ ولد أباه أو يلقى الأب من ولده ،
حبّاً يقصر عنه النّفَس . ويعجز الكلام —
أحبك فوق هذا كله .

كورديليا (جانبياً) إذن ماذا تقول كورديليا ؟ أحبّي واسكتي .

لير (مؤشراً على الخريطة) — لقد جعلناك سيدة على هذه الحدود كلها ،
من هذا الخط إلى هذا ،
بما اغتنت به من أحراش ظليلة وسهول ،
وأنهارٍ غزيرة وحقول ترامت أطرافُها :
ولتكنْ لنسلك ونسل زوجك ألبني
إلى الأبد . ماذا تقول ابنتنا الثانية ،
عزيزتنا ريغن ، عقيلة كورنوول ؟

ريغن ما أنا إلا من معدن أختي نفسه ،
فليكن قدري قدرَها . ففي قرارة قلبي
أجد أنها قد عيّنت حبي على حقيقته ،

لولا أنها قصّرت بعض الشيء .
فأنا أعادي الأفراح الأخرى كلها
التي هي في منال الحسّ فيّ
وأراني لا أسعد إلاّ
في حبّ سموّك العزيز .

كورديليا (جانبياً) إذن ، مسكينة يا كورديليا !
لكن لا . لأنني واثقة من أن حبي
أرجح وزناً من لساني .

لير ليبق لك ولنسلك يتوارثونه أبداً
هذا الثلث الرحب من مملكتنا الجميلة
لا يقل اتساعاً وقيمة وإمتاعاً
عما منحناه غونريل . والآن ، يا قرّة عيننا ،
وإن تكوني صغرى الأخوات سنّاً وقامة ، أنت التي
تتنافس على وصالك كروم فرنسا ومراعي برغنديا ،
ما الذي بوسعك أن تقوليه لتنالي
ثلثا أغنى وأترف من أختيك ؟ تكلمي .

كورديليا لا شيء [٢] ، يا سيدي .

لير لا شيء ؟

كورديليا لا شيء .

لير لا شيء يأتي من لا شيء : تكلمي مرة أخرى .

كورديليا أنا الشقية ، لا أستطيع أن أرفع قلبي
إلى فمي : إني أحب جلالتكم
وفق رباطي البنويّ . لا أكثر ولا أقلّ .

---

(٢) هاتان الكلمتان تتردّدان ، ويتردد صداهما ، في خلال المسرحية كلها .

لير كيف ، كيف ، يا كورديليا ! أصلحي بعضاً من كلامك ،
لئلا تُفسدي نصيبك من الدنيا .

كورديليا مولاي الكريم ،
لقد ولَدتَني ، وربّيتَني ، وأحببتني . وأنا
أردّ هذه الواجبات كما هو من حقها أن تُرَدّ ،
فأطيعك ، وأحبك ، وجداً أكرمك .
لمَ اتخذَتْ كلتا أختيّ زوجاً لها ، إن تقل
إنها لا تحب سواك ؟ يسعدني ، عندما أتزوج ،
أن السيد الذي تنال يدُه عهدَ الزواج مني ، ستغنم
يدُه نصفَ حبي ، ونصفَ همّي وواجبي :
يقيناً انني لن أتزوج كأختيّ الاثنتين ،
لأحبّ أبي دون سواه .

لير لكن هل يطاوعك قلبك في هذا ؟

كورديليا أجل ، مولاي الكريم .

لير أفتيّة هكذا ، وقاسية ؟

كورديليا فتية ، مولاي ، وصادقة .

لير لا بأس . فليكن صدقُك صداقَك .
قسماً بضياء الشمس المقدّس ،
وأسرار هكاتي [٣] والليل ،
قسماً بما تضمره النجوم التي
بها نحيا ونموت ،
إني هنا أتبرّأ من حنوّي الأبويّ
ومن علاقة الدم والقربى ،
وأعتبرك ، من هذه الساعة وإلى الأبد ،

---

(٣) هكاتي : الهة العالم السفلي ، ونصيرة السحر والسحرة

غريبة عن قلبي وعنّي !
وليكوننّ « السّكيثيّ »[٤] البربري ،
أو ذاك الذي يجعل من والديه طعاماً
ينهمه نهماً ، أقرب إلى قلبي
أسعفه وأعطف عليه ،
منك أنت ، يا من كنت يوماً ابنتي !

كنت — مولاي الكريم —

لير — صمتا يا كنت !
لا تقحم نفسك بين التنين وغضبه .
أحببتها أكثر من غيرها ، وقلت أجازف بكل ما عندي
في سبيل رقيق عنايتها . عنّي بك ، وتجنّب نظرتي !
وليكن قبري سلامي ، إذ هنا أعطي
قلب أبيها لغيرها ! ادعوا فرنسا[٥] . تحركوا !
ادعوا برغنديا . يا كورنوول ، وألبني ،
ضمّا إليكما ، مع صِداق ابنتيّ ، صِداق الثالثة .
ولتجعل الكبرياء ، التي تسميها هي بساطة ، زوجاً لها .
إني لأهبكما معاً سلطتي
وسوددي ، وكلّ ما يصحب الجلال
من توابع الأبهة . أما نحن ، فإننا
إذ نحتفظ بمئة فارس
تكون عليكما العناية بهم ، سنجعل سكنانا
عند واحد منكما دورياً كل شهر . لسوف نتمسك

---

(٤) كان المعتقد ، اعتماداً على بعض الجغرافيين القدامى ، إن أهل سكيثيا يأكلون والديهم عندما يطعنون في السن .
(٥) أي ملك فرنسا ، وكذلك « برغنديا » أي دوق برغنديا ، وهكذا . فمن عادة شكسبير أن يختزل الألقاب

بلقب الملك ومراسيمه كلها ، غير أن الحكم
والدخل وتصريف الأمور
ستكون ، يا ولديّ الحبيبين ، في أيديكما .
ومصداقاً لذلك ، تقاسما هذا التاج بينكما .

كنت — أيها الملك لير ،
يا من كنتُ دوماً أجلّه مليكاً ،
وأحبّه أباً ، وأتبعه سيّداً ،
وفي صلواتي أتأمل فيه قديساً حامياً —

لير — لقد انْحَنَتِ القوس وتوترت ، فابتعد عن سهمها !

كنت — بل فليقع ، وان تخرق النبلة
شغاف قلبي . وإذا ما جُنّ لير
فليُخِلّ « كنت » بالأدب ! ما الذي تريد فعله يا شيخ ؟
أتحسب أن الواجب يهاب النطق
حين ينحني السلطان للرياء ؟ على الشريف تجب الصراحة
إذا ما الجلالة هبطت إلى الجهالة . احتفظ بمُلْكِك ،
وأعْمِلِ التروّي لتكبح
هذا الطيش الشنيع . لتكن حياتي فداءً لرأيي :
صُغْرَى بناتك ليست أقلّهن حباً لك .
فما الأصوات الخفيضة بخاوية القلب
إذا لم تضجّ عن فراغ .

لير — كفى يا كنت ، واسلم بحياتك !

كنت — ما اعتبرت حياتي قط إلا رهانا
أراهن به ضد أعدائك . ولن أخشى فقدانها
إذا كانت سلامتك هي الدافع .

لير — أغرب عن نظري !

كنت	بل أنعم نظرك يا لير ، واجعلني دوماً
قلب الهدف من عينك
لير	قسماً بأبولّو [٦] !
كنت	قسماً بأبولو ، يا ملك ،
عبثاً تقسم بآلهتك .
لير	يا مَوْلى ! يا نذل ! يا كافر !

(يضع يده على سيفه)

ألبني
وكورنوول	يا سيد ، كفى أرجوك .
كنت	اقتل طبيبك ، وأنفق الأجر
على الداء اللعين . استردّ ما أعطيت .
وإلاّ فإنني ، ما دمت أستطيع صراخاً من حنجرتي ،
سأقول لك : شرّاً فعلت .
لير	إسمعني يا مارق !
إن كان فيك ولاء إسمعني !
بما أنك سعيت في حملنا على الإخلاف في الوعد
مما لم نقدم يوماً عليه ، وأقمت نفسك ،
بكِبْر مفتعل ، بين ما نطقنا به وبين سلطاننا ،
وهو ما لا يطيقه طبعنا ولا تتحمله مكانتنا ،
ودعماً لسلطتنا ، خذ جزاءك .
إننا نمهلك خمسة أيام تتموّن فيها
اتّقاءَ نكباتِ الدنيا .
وعليك في اليوم السادس أن تدير ظهرك الكريه
لمملكتنا . وفي اليو العاشر اللاحق

---

(٦) يردد شكسبير الإشارات الوثنية تأكيداً على الجو الوثني للقصة وزمانها القديم .

إن نحن وجدنا كيانك المنفيّ في أصقاع دولتنا
كانت تلك اللحظة حتفك . أخرج !
قسماً بجوبيتر ، لن ننقض هذا .

كنت	وداعاً أيها الملك . إن كان هذا ما تبدو به ،
فالحرية تحيا في البلاد الأخرى ، وما المنفى إلا هنا .
(لكورديليا) رعتك الآلهة في مأمنها يا عذراء ،
لقد فكّرتِ عدلا ونطقتِ حقاً .
(لغونريل وريغن) أقوالكما الكبيرة أرجو أن تثبتها أفعالكما ،
فيكونَ حسنُ الصنع وليدَ ألفاظ الحب .
وهكذا ، يا أمراء ، يستودعكم اللهَ كنت .
ولسوف يسير على نهجه القديم في بلد جديد .

(يخرج)

(أبواق . يدخل ثانية غلوستر ومعه ملك فرنسا ، ودوق برغنديا ، ومرافقون .)

غلوستر	ها هما فرنسا وبرغنديا ، يا مولاي الكريم .

لير	يا عزيزي أمير برغنديا ،
إني أخاطبك أولا ، أنت الذي
تنافس هذا الملك على يد ابنتنا ، ما هو أقلّ
ما تطلبه من مهر فوري معها ،
لكنت لولاه تكفّ عن مطلب حبك ؟

برغنديا	يا صاحب الجلالة ،
لست أتطلع إلى أكثر مما اقترحتم عطاءه ،
ولن تعطوا أقلّ من ذلك .

لير	يا برغنديا النبيل ،
يوم كانت غالية علينا ، اعتبرناها فعلا غالية ،

بيد أن ثمنها الآن قد هبط . سيدي ، ها هي ذي واقفة هناك :
إن كنت ترى ما يلائمك ويسرّك
في بعض قوامها ، أو كله ، على قلة مزاعمه ،
مناطاً به سخطنا ولا شيء غيره ،
فها هي ذي هناك ، إنها لك .

برغنديا لا أعرف جواباً .

لير أتأخذها ، أم تتركها
بما فيها من مواطن ضعف ،
وقد غدت بلا صديق ، وحديثاً تبنّاها كرهنا ،
صداقها لعنتنا ونحن قَسَماً براءٌ منها ؟

برغنديا عفوكم ، يا صاحب الجلالة ،
لا خيار لي والحالة هذه .

لير إذن اتركها يا سيدي . لأنني وحقّ الذي صنعني ،
أعلمتك بكل ثروتها . (لفرنسا) أما أنت أيها الملك العظيم ،
فإنني لن أشطّ عن ودك بحيث
أزوّجك ممن أكره . ولذا ، أرجوك
أن توجه حبك وجهة أخلق بك
من مخلوقة تكاد الطبيعة تخجل
من الاعتراف بها .

فرنسا يدهشني
أن هذه التي كانت قبل برهة المحط الأثير لحبك
وموضوعَ مدحك وبلسم شيخوختك ،
خيرَ الناس وأعزّهم لديك ، بوسعها في طرفة عين
أن تأتي أمراً ينزع عنها لبشاعته
أثواب رضاك كلها . لا بد أن إثمها

فيه من الشذوذ ما يجعله
قميناً بالوحوش ، أو أن تردادك السابق لتعلّقك بها
كان من ضعف فيك . وهذا ما لن أصدقه عنها
لأن العقل لن يزرع فيّ ايماناً
بغير معجزة .

كورديليا لكنني أضرع إلى جلالتكم
(حتى وإن يعوزني فن المداهنة الذرب
بالكلام دون نية الفعل ، فأنا ان نويت على فعل
فعلتُهُ قبل الكلام فيه) ، أن تعلنوا للملأ
أن ما حرمني عنايتكم وعطفكم
لم يكن لوثةً من الرذيلة فيّ — جريمةَ قتل أو فحش ،
أو تخلياً عن عفة ، أو فعلةً تخلّ بالشرف ،
بل لأنني لا أملك ما أنا أغنى بافتقاري اليه :
عيناً تستجدي كل لحظة ، ولساناً
يُفرحني أنه يُعْوِزُني ، وإن يكن افتقاري اليه
قد أفقدني مودتكم .

لير لكان خيراً لك
لو لم تولدي من ألاّ تسرّيني خيراً مما فعلت .

فرنسا أهذا دون غيره ؟ أتحفّظٌ في الطبع
غالباً ما يُمسك اللسانَ عن سرد ما
قد عزم على فعله ؟ سيدي لورد برغنديا ،
ماذا تقول في السيدة ؟ ليس الحب حباً
إن هو مازج بينه وبين اعتبارات لا تتصل
بجوهر الأمر . أتتزوجها ؟
إنها بحد ذاتها مهر ثمين .

برغنديا مولاي الملك ،
هبني ما اقترحته أنت من سهم ،
آخذْ كوردليا هنا من يدها ،
دوقةً لبرغنديا .

لير لا شيء . لقد أقسمت . ولن أتزعزع .

برغنديا يؤسفني إذن انكِ فقدتِ أباً
فكان عليك أن تفقدي زوجاً كذلك .

كورديليا فليذهب برغنديا بسلام !
إن يكن غرامه بالاعتبارات والأموال
لن أكون زوجة له .

فرنسا كورديليا الجميلة ، غنيةٌ أنتِ لأنك فقيرة ،
ومختارة لأنك مهجورة ، ومحبوبة لأنك مزدراة !
وها إني هنا أحظي نفسي بك وبفضائلك :
وليكن مشروعاً أنني التقط لنفسي ما نبذه الآخرون .
الآلهة ، الآلهة ! ما أغرب أن حبي
من برود إعراضها يلتهب تعلّقاً !
أيها الملك ، إبنتك البلا مهر هذه ، التي القى بها الحظ إليّ ،
ستكون مليكتَنا وكلّ ما لدينا ، ومليكةَ فرنسا الجميلة .
كل دوقات برغنديا السائلةِ بمياهها ،
أعجز من أن يشتروا مني هذه العذراء النفيسة المهملة .
ودّعيهم يا كورديليا ، وإن قَسَوْا عليك .
فإن تفقدي مكاناً هنا ، ستجدي مكاناً أفضل منه .

لير لقد أخذتَها ، يا فرنسا ، ولتكن لك ،
فلا ابنة لنا كهذه ، ولن نرى
وجهها مرة أخرى . ولذا انصرفا

بدون طيبة منا ، ولا حب ، ولا بركة .
هيّا ، يا برغنديا النبيل .

(صدح أبواق . يخرج لير ، وبرغنديا وكورنوول ، والبني ، وغلوستر ، والمرافقون .)

فرنسا ودّعي أختيك .

كورديليا يا جوهرتَيْ أبي ، بعينين غريقتين
تغادركما كورديليا : أنا أدرى بكما ،
وكأخت لكما فإني أعرض عن تسمية
أخطائكما بأسمائها . أحبّا أبي خيراً .
إني أسلّمه للحب المعلن في صدريكما
ولكن ، وا أسفاه ! لو كنتُ بقيتُ في حظوة منه ،
لأوصيت به مكاناً أفضل .
وداعاً لكما ، كلتيكما .

ريغن لا تعيّني لنا واجبنا .

غونريل ليكن همك
أن تُرضي سيدك الذي تلقّاك
صَدَقَةً من صدقات الحظ . لقد قصّرتِ في الطاعة
فحق عليك العَوَزَ الذي قد نالك .

كورديليا سينشر الزمن ما طوته الخديعة .
انه يستّر الأخطاء ، ليُزري عاراً في النهاية .
ومن يعش ير !

فرنسا هيا ، يا حسنائي كورديليا .

(يخرج فرنسا وكورديليا)

غونريل أختاه ، ليس قليلا ما لدي أقوله عما يهمنا نحن الاثنتين . أظن أن أبي سيرحل الليلة .

ريغن — لا ريب ، وبرفقتكما . وفي الشهر القادم سيأتي الينا .

غونريل — إنك ترين ما أكثر تقلباته في شيخوخته . وما لحظناه منها ليس بالقليل . كان دوماً يحب أختنا أكثر منا : وضعف حكمه ، إذ ألقى بها عنه ، ظاهر الفظاظة والخطل .

ريغن — إنه وَهَنُ شيخوخته . وإلى هذا ، فإنه كان أبداً قليل المعرفة بنفسه .

غونريل — لقد كان في أفضل أيامه وأعقلها شديد الاندفاع . فعلينا أن نتوقع من شيخوخته لا أن نذاق نواقص طبعه المتأصلة فيه وحسب ، بل الهوى والعنادَ الأهوَج اللذين تأتي بهما أعوامُ سرعةِ السخّط والوَهَن .

ريغن — قد نرى منه نزوات مفاجئة كنزوته هذه في نفي كنت .

غونريل — ثمة مزيد من رسميات التوديع بينه وبين فرنسا . أرجوك ، لنضرب معاً : إن كان أبونا سيستمر في إعمال السلطة وهو على حاله هذه ، فإن تنازله الأخير هذا لن يكون إلا ازعاجاً لنا .

ريغن — سنولي ذلك مزيداً من التفكير .

غونريل — بل علينا أن نفعل شيئاً ، والحديدة حامية .

(تخرجان)

المشهد الثاني

قلعة الورد غلوستر . يدخل ادموند ، وبيده رسالة

ادموند — أيتها الطبيعة [٧] ، أنت الهتي . شريعتك
هي ما ألزمت نفسي بخدمته .
لمَ التمسّكُ بالعُرْف السقيم ، فأسمح
لحذلقة الأمم بحرمانيَ حقّي
لمجرد أنني تأخرت بالميلاد عن أخي

---

(٧) حين يعلن ادموند أن « الطبيعة » هي الهته ، فإنه يعلن عن رفضه الدين وقوانين المجتمع . فأحد معاني « الطبيعة » ، في عصر شكسبير ، يتصل بما هو من شيم الانسان الفطرية وقد استسلم للشيطان ، وأعرض عن المقدسات التي تنظم الطبيعة وتطهرها .

أشهراً إثني عشر أو أربعة عشر ؟
لماذا أدعى نغلا ؟ وضيعاً ؟
وأبعاد جسمي مليحة الصنع ،
وأنا أبيّ النفس ، أصيل الشكل
كابن أية سيدة عفيفة ؟ لمَ يَصِمُونَنا
بالضعة ؟ بالنغالة ؟ بالضعة ، الضعة ؟
نحن الذين في خلسة الشهوة من الطبيعة نحظى
بمزيج أكبر وعزيمة أضرى مما يقتضيه
خلق عشيرة كاملة من البلهاء
يُنْسَلون بين نومة ويقظة
في فراش متعب ، سليخ ، رتيب ؟
إذن ، عليّ بأراضيكَ يا ادغارُ الشرعي :
حبّ أبينا لنغله ادموند
هو كحبه لابنه الشرعي . « شرعي » ، يا للكلمة !
أخي الشرعي ، إن تُوَفّق هذه الرسالة
وتنجح حيلتي ، فإن ادموند الوضيع
سيعلو الشرعيّ أخاه : ولسوف أكْبُرُ ، وأثري .
فيا أيتها الآلهة ، شدي أزر أولاد الحرام !

(يدخل غلوستر)

غلوستر	نُفي « كنت » هكذا ! ورحل فرنسا مغضباً !
قاصراً نفسه على نفقة ! كل ذلك تمّ
بفجأة وخزة ! أدموند ، هات ، ما وراءك ؟
ادموند	لا شيء يا سيدي .
غلوستر	فيم اللهفة في إخفاء تلك الرسالة ؟
ادموند	لا أخبار لدي ، يا سيدي .

غلوستر ما تلك الورقة التي كنت تقرأها ؟

ادموند لا شيء ، يا سيدي .

غلوستر لا ؟ ما الداعي إذن إلى العجلة في وضعها في جيبك خائفاً ؟ صفة اللاشيء في غنى عن التخفي . تعال ، أرني إياها . إن تكن لا شيء ، لن احتاج إلى نظارتي .

ادموند سيدي ، أرجو أن تعفيني . إنها رسالة من أخي لم أقرأها كلها بتمعن ، ومما قرأته منها أرى أنها لا تستحق تفحصك .

غلوستر أعطني الرسالة يا فتى .

ادموند سأسيء ، أعطيتها أم أحجمت . فالمحتويات ، كما أفهم بعضها ، تستحق الملامة .

غلوستر هاتها ، لنر .

ادموند (يعطيه الرسالة) أرجو ، تبريراً لأخي ، انه ما كتبها إلا امتحاناً لفضيلتي .

غلوستر (يقرأ) « سياسة احترام الشيخوخة هذه تجعل الدنيا مريرة علينا في أفضل سني حياتنا : إنها تحول دوننا ودون ميراثنا إلى أن نعجز لتقدمنا في السن عن التمتع به . لقد جعلت أرى عبودية حمقاء لا طائل تحتها في الخضوع لظلم مُسِنٍّ مستبدٍّ يتحكم لا لقوة فيه بل لخنوع فينا . تعال عندي فأحدثك المزيد عن هذا . إن كان لأبي أن ينام إلى أن أوقظه ، لك أن تتمتع بنصف دخله ، وتحيا حبيب أخيك ، ادغار . »
ها ! مؤامرة ! « أن ينام إلى أن أوقظه — لك أن تتمتع بنصف دخله . » ولدي ، ادغار ! ولدي ، ادغار ! أكانت له يد تسطّر هذا ؟ أكان له قلب ودماغ يستولدهما هذا ؟ متى أتتك هذه الرسالة ؟ من أوصلها ؟

ادموند لم يوصلها إليّ أحد ، يا سيدي . هنا الحيلة . وجدتها مقذوفة من نافذة غرفتي .

غلوستر أواثق أن الخط خط أخيك ؟

ادموند لو كان فحواها خيراً لأقسمت على ذلك . ولكن ، وفحواها كما رأيت ،

أوثر ألاّ يكون هذا خطه .

غلوستر أخطه ؟

ادموند خطه يا سيدي . ولكنني أرجو أن قلبه ليس في محتواها .

غلوستر ألم يسبر غورك يوماً حول هذا الأمر ؟

ادموند أبداً ، يا سيدي . وإن كنت قد سمعته مراراً يزعم أن الأبناء إذا ما نضجوا ، والآباء إذا ما وهنوا ، فمن اللائق أن يُجعل الابن وصيّاً على أبيه ، ومديراً لدخله .

غلوستر نذل ، آه يا نذل ! رأيه بعينه في هذه الرسالة ! يا نذلا كريهاً ! يا نذلا ، شاذاً ، مقيتاً ، وحشياً ، بل أحط من وحشي ! إذهب يا غلام وابحث عنه . سأعتقله ، هذا النذل الخسيس ! أين هو ؟

ادموند لا أعرف بالضبط ، يا سيدي . ليتك تكف سخطك على أخي ريثما تستخرج منه شهادة أفضل على مأربه ، فتنهجَ سبيل الأمان . ولكن إن أنت لاحقته بعنف وقد أخطأت قصده ، قد يصدع ذلك شرفك ويحطّم منه قلب الطاعة . إني لأراهن بحياتي على أنه كتب هذه الرسالة ليعجم عود محبّتي لشرفك ، لا لأي مأرب خطير منه .

غلوستر أهذا ظنك ؟

ادموند إن كنت سيادتك ترى من اللائق ، جعلتك في مكان تستطيع منه أن تسمعنا نتباحث في ذلك ، فتقنع بشهادة من أذنك . ولن أماطل إلى أكثر من مساء اليوم .

غلوستر يستحيل أن يكون وحشاً كهذا —

ادموند لا ريب .

غلوستر — إزاء أبيه الذي يحبه الحبّ كله ويحنو عليه الحنوّ كله . يا للسماء للأرض ! ادموند ، جد أين هو ، شُقَّ طريقك إلى نفسه ، أرجوك . دبّر الأمر بحكمتك . لن أتردد في التخلي عن مقامي من أجل بلوغي القرارّ الصحيح .

ادموند سأبحث عنه يا مولاي ، حالا . وسأصرف الأمر على خير ما استطيع ، وأعلمك .

غلوستر ما رأينا من تكرار كسوف الشمس والقمر مؤخراً لن يبشرنا بخير : ولئن تعلل حكمةُ الطبيعة ذلك بكيت وكيت . فإن الطبيعة تجد نفسها مبتلاة بالنتائج اللاحقة . وإذا الحب يفتر ، والأصدقاء يتمر دون ، والأخوة ينقسمون : الشغب في المدن ، والفتنة في البلاد ، والخيانة في القصور ، والرابط ينفصم بين الولد ووالده . وابني النذل هذا ينطبق عليه النذير ، فهذا ولد يقوم على والده : والملك يسير على غير هَدْيِ الفطرة ، فهذا والد يقوم على ولده . لقد انقضى أفضل ما في زماننا ، وراحت المؤامرات ، والنفاق ، والغدر ، وضروب الشغب الهدّام ، تتعقبنا بضجيجها حتى القبر . إبحث عن هذا النذل يا ادموند ، لن تخسر شيئاً . إبحث عنه بحذر . و « كنت » النبيل الصادق القلب يُنفى ! وما ذنبه ؟ الاخلاص ! غريبٌ وأيمّ الحق .

(يخرج)

ادموند هذه حماقة الناس الرائعة : إذا ما اعتلّ الدهر بنا ، غالباً لافراط منا في سلوكنا ، حمّلنا الشمس والقمر والنجوم جريرة نكباتنا ، كأننا أنذال بالضرورة ، وحمقى بقسر من السماء ، وأراذل ولصوص وخونة بحركات من النجوم ، وسكّيرون وكَذَبَة وزناة بطاعة فرضتها علينا الكواكب السيّارة ، كأن كل موبقة فينا أكرهتنا عليها مشيئة المية . مراوغة رائعة من إنساننا الفاسق ، أن يحمّل نجمه مسؤولية شهوانيته ! لقد وطِئ أبي أمي ساعة ذيل التنّين ، وجاءت ولادتي ساعة الدب الأكبر ، وبالتالي فإنني فظّ وفاجر . هراء ! لكنت ما أنا عليه حتى لو تألقت أعف أعف نجمة في الفَلَك على نغلَتي . ادغار —

(يدخل ادغار)

(جانبياً) يجيء رأساً ، كالكارثة في المهازل القديمة . أما دوري فهو الكآبة

السقيمة ، والتنهد كتوما المجنون (٨) . آه ، إن هذا الكسوف المتكرر لينذر بالشقاق . (يغني) فا ، صول ، لا ، مي .

ادغار: ما بك يا أخي ادموند ؟ ما هذا الإطراق العميق منك ؟

ادموند: إني أتأمل يا أخي في تنبوء قرأته قبل أيام ، عما سيتلو كسوفات الشمس والقمر .

ادغار: أتشغل نفسك بذلك ؟

ادموند: أؤكد لك أن العواقب التي يتحدث عنها تتحقق شؤماً ، كالشذوذ بين الأبناء وآبائهم ، أوالموت والقحط وانفصام الصداقات القديمة ، أوالشقاق في الدولة ، والرِّيَب التي لا مبرر لها ، ونفي الأصحاب ، وتبدّد الفيالق ، وتصدّع الزواج ، إلى آخر ما هنالك .

ادغار: منذ متى كنت تلميذاً للمنجمين ؟

ادموند: متى رأيت أبي آخر مرة ؟

ادغار: ليلة البارحة

ادموند: هل تحدثت إليه ؟

ادغار: نعم لساعتين اثنتين .

ادموند: وافترقتما على وفاق ؟ ألم تلحظ في كلامه أو محياه شيئاً من السخط ؟

ادغار: قطعاً لا .

ادموند: فكّر في ما ربما قد أسأت به اليه . وأرجوك أن تمتنع عن المثول أمامه إلى أن يكون بعض من الزمن قد لطّف حدة السخط الهائج في نفسه عليك ، والذي لن يقلل منه أذى حضورك لديه .

ادغار: نذل ما قد أساء إلي .

ادموند: هذا ما أخشاه . أرجوك أن تكبح جوامحك إلى أن تخفّ سرعة غضبه ، وكما قلت ، تعال معي إلى مسكني لأهيىء لك مجالا لسماع أبي يتحدث .

---

(٨) أو توما دار المجانين ، وهو تعبير كان شائعاً في انكلترا ، يطلق على شحاذ يتظاهر بالجنون ويتجول في مزق تكشف عن ذراعيه وساقيه ، ويسمي نفسه عادة بتوما .

أرجوك هيّا . هاك مفتاحي . وإذا تجولت في أي مكان فكن مسلّحاً .

ادغار مسلّحاً ، يا أخي !

ادموند أخي ، نصيحتي لخيرك . فلأعدَم الفضيلة إن كان هناك من ينوي لك الخير . لقد أعلمتك بما رأيت وسمعت ، ولكن بألطف الكلام ، لا بالصورة الرهيبة الحقيقية التي أعرفها . أرجوك ، إذهب .

ادغار وهل سأسمع منك قريباً ؟

ادموند إني أخدمك في هذا الأمر .

(يخرج ادغار)

أب ساذج ، وأخ نبيل
قصيّ الطبع عن الأذى
فلا يرتاب في أحد . ما أسهل ما تمتطي
دسائسي على بَلَهاء أمانته ! أمري جليّ .
لأملُكَنّ الأراضي ، إن لم يكن بالإرث ، فبالخديعة :
وحلالٌ عليّ كلّ ما استنسبتُ فعله !

(يخرج)

المشهد الثالث

حجرة في قصر دوق ألبني ، تدخل غونريل ومعها ازوالد ، رئيس خدمها .

غونريل هل ضرب أبي حاجبي لأنه نهر بهلوله ؟

ازوالد نعم يا مولاتي .

غونريل إنه يظلمني ليل نهار . في كل ساعة
يحتدم في سيئة ذميمة أو أخرى
تجعلنا جميعاً على خلاف : لن أتحمل ذلك .

أخذ فرسانه يعربدون ، وهو يؤنبنا
لكل صغيرة . عندما يعود من الصيد
لن أتكلم اليه . قل له إنني متوعكة .
ولسوف تحسن فعلا إن أنت
تراخيت في خدماتك العتيدة له .
قصورك في ذلك سأدافع أنا عنه .

ازوالد إنه قادم ، سيدتي . إني أسمعه .

(ابواق صيد من الداخل)

غونريل تظاهروا بما شئتم من الإهمال والإعياء
أنت ورفاقك ، لأني أريد للموضوع أن يثار .
وإذا لم يرق له ذلك ، فليذهب إلى أختي ،
فأنا أعلم أنها متفقة معي
على رفض أي تجاوز علينا . شيخ مأفون
يصرّ على إدارة السلطات التي
تخلّى عنها بنفسه ! قسماً بحياتي
ما الشيوخ الهُبْلُ إلا أطفالٌ من جديد ، ولا بد في معاملتهم
من الصدّ آناً والتملق آناً ، عندما يشط الوهم بهم .
تذكر ما قلته لك .

ازوالد تماماً ، سيدتي .

غونريل ولفرسانه أظهروا بروداً أشد .
مهما تكن العاقبة ، فلا بأس . أعلم رفاقك بذلك .
أود أن استنجم الفرص من ذلك
لكي أتحدث فيه . سأكتب حالا إلى أختي
لتحذوَ حذوي . هيىء العشاء .

(يخرجان)

كنت   إذا اتخذتُ لي لهجةً أخرى
تُشوش نطقي ، فقد أفلح بحسن قصدي
في بلوغ النتيجة الكاملة التي
من أجلها محوت صورتي . والآن ، أيها المنفيّ كنت ،
إن استطعت أن تخدم في مكان أنت فيه محكوم عليك ،
فلعل سيدك الذي تحبه
أن يجدك محمّلا بالمضنيات .

أبواق صيد من الداخل . يدخل لير ، وفرسان وحشم .

لير   لا تجعلني أنتظر العشاء برهة واحدة : إذهب وهيئه .

(يخرج أحد الحشم)

ها ! من أنت ؟
كنت   إنسان يا سيدي .
لير   ما عملك ؟ ماذا تريد منا ؟
كنت   أريد أن أقول اني لست بأقل مما أبدو. أخلص خدمة من يوليني ثقته، وأحب الأمين الكريم ، وأعاشر الحكيم الذي يتفوه بالقليل . أخاف الدينونة ، وأقاتل إذا القتال تحتم ، ولا آكل السمك . (٩)
لير   من أنت ؟
كنت   رجل أمين القلب جداً ، وفقير كالملك .
لير   إن كنت كأحد أفراد الرعية فقيراً فقري أنا كملك ، فإنك حقاً فقير .

(٩) العبارة الأخيرة تأويلان : ١ – اني بروتستانتي ، ٢ – اني لست من المستضعفين . ولعل العبارة أيضاً معنى جنسياً .

ماذا تريد ؟

كنت خدمة

ابر لمن ؟

كنت لك .

ابر أتعرفني يا رجل ؟

كنت لا يامولاي . ولكن في مظهرك ما يروق لي أن أسميه سيداً .

ابر وما ذلك ؟

كنت السلطان .

ابر وما الذي بوسعك من خدمات ؟

كنت بوسعي أن أكتم السرّ الشريف ، وأركبَ الخيل ، وأركض ، وأفسدَ الحكاية المنمّقة بسردها ، وأبلّغ الرسالة الصريحة بغير مواربة . وما يُحسن صنعهَ البشرُ العاديون ، فإني مؤهل لصنعه ، وخير ما فيّ الاجتهاد .

ابر وما عمرك ؟

كنت لست من الشباب يا سيدي بحيث أغرم بامرأة لغنائها ، ولا من الشيخوخة بحيث أسلَب العقلَ لأي شيء فيها . على كاهلي من السنين ثمانٍ وأربعون .

ابر إتبعني . ستخدمني . إذا لم يقلّ رضاي عنك
بعد العشاء ، فإنني لن أفارقك.
العشاء ، يا قوم ، العشاء ! أين
ولدي ، بهلولي ؟ إذهب وادع لي بهلولي .

(يخرج أحد الحشم يدخل ازوالد)

أنت يا غلام ، أين ابنتي ؟

از والد أرجوك — (يخرج)

ابر ما الذي يقوله الرجل ؟ أعد ذاك الأبله إليّ .

(يخرج أحد الفرسان)

أين بهلولي ، يا قوم ؟ كأنما الدنيا نائمة .

(يعود الفارس)

ها ! أين ذلك القرد ؟

الفارس يقول ، يا سيدي ، إن ابنتك متوعكة .

لير لِمَ لم يعد العبد إليّ عندما طلبته ؟

الفارس سيدي ، أجابني بأوضح العبارة بأنه يرفض .

لير يرفض !

الفارس مولاي ، لست أدري ما الأمر ، ولكن الذي أرى هو أن جلالتكم لا تعامَلون بما اعتدتموه من الود والتبجيل . ثمّة نقص كبير في اللطف باد في الخدم عموماً ، كما في الدوق نفسه ، وكذلك في ابنتكم .

لير ها ! أهذا ما تقول ؟

الفارس أستميحك الصفح يا مولاي إن كنت على خطأ . فمن واجبي ألا أسكت عندما يخيّل إليّ أن ثمة إساءة إلى جلالتكم .

لير إنك إنما تذكّرني بما جال في خاطري . لقد لحظت مؤخراً شيئاً زهيداً من الإهمال . فنسبت ذلك إلى تدقيقي الصارم أكثر منه إلى القصد والتصميم على الإساءة . سأعيد النظر في الأمر . ولكن أين بهلولي ؟ لم أره ليومين اثنين .

الفارس منذ أن رحلت سيدتي الصغرى إلى فرنسا ، يا مولاي ، أصيب البهلول بالهزال .

لير كفى ، كفى . لقد لحظت ذلك جيداً . إذهب أنت ، وقل لابنتي إنني أريد الحديث إليها .

(يخرج أحد الحشم)

واذهب أنت ، وادع إليّ بهلولي .

(يخرج أحد الحشم)

(يدخل ازوالد مرة أخرى)

أنت يا سيد ، أنت ، تعال هنا ، يا سيد . من أنا يا سيد ؟

ازوالد   والد سيدتي .

لير   « والد سيدتي ! » إبن سيدتي : يا كلب ، يا ابن الزانية ! يا عبد ! يا جرو !

ازوالد   أنا لست أياً من هذه يا سيدي . أرجو عفوك .

لير   أتردّ علي النظرة بنظرة يا وغد ؟ (يضربه)

ازوالد   أرفض أن أضرَب يا سيدي .

كنت   وأن تُعرقَل أيضاً ، يا لاعباً حقيراً لكرة القدم . (١٠)

(يعرقل قدميه ويوقعه)

لير   شكراً يا رجل . إنك لتخدمني . ولسوف أحبك .

كنت   هيا يا سيد ، إنهض ، إنصرف ! سأعلمك الفروق بين الناس . إنصرف ! إن كنت تبغي قياس الطول في شحمك ثانية ، فابق في مكانك . ولكن إنصرف ! إذهب . أما عندك من عقل ؟

(يخرج ازوالد)

إلى حيث ألقت !

لير   شكراً أيها الرجل الصديق . هاك عربون خدمتك .

(يعطي كنت نقوداً .)

(يدخل البهلول)

بهلول   دعني أنا أيضاً أستأجره : هاك طرطوري. (١١)

لير   أهلا يا فتاي الوسيم ! كيف أنت ؟

---

(١٠) كانت كرة القدم في عصر شكسبير تعتبر لعبة منحطة يلعبها الصبية العاطلون في الشوارع ويزعجون بها الناس .

(١١) كان المأثور أن البلهاء والبهاليل يلبسون طاقية تمثل عنق الديك ورأسه ، وفي أعلاها جرس صغير ، وهي تسمى بالانكليزية « عرف الديك »

بهلول　　يا سيد ، خير لك أن تأخذ طرطوري .

(يقدم قبعته لكنت)

كنت　　لماذا يا بهلول ؟

بهلول　　لماذا ؟ لأنك تناصر رجلا ذهب عزّه . إذا لم تستطع أن تبتسم حيثما الريح تقع ، ستجد نفسك قريباً في زمهرير : هاك ، خذ طرطوري . ألا ترى أن هذا الرجل قد نفى اثنتين من بناته ، وبارك الثالثة رغماً عن إرادته : إن كنت ستتبعه عليك أن تلبس طرطوري . والآن ، عماه ! يا ليت لي طرطورين وابنتين !

لير　　لم يا ولدي ؟

بهلول　　إن أعطيتُهما كل ما أملك ، أبقيتُ لنفسي على الطرطورين . هاك طرطوري ، واشحذ الآخر من ابنتيك .

لير　　حذار يا غلام . السوط !

بهلول　　الحق إن على الكلب أن يذهب إلى مأواه . عليه أن يطرد بالسوط بينما للكلبة أن تقف قرب النار وتُنتّن .

لير　　يا للمرارة الموبوءة ! (١٢)

بهلول　　يا رجل ، سأعلمك خطاباً .

لير　　هيا .

بهلول　　إنتبه إليه ، عماه :

إحتفظ بأكثر مما تبدي
وانطق بأقل مما تدري ،
أدِنْ أقلّ مما تملك
واركب لأبعدَ مما تذهب ،
تعلّم أكثر مما تعلم

---

(١٢) فجأة يتذكر لير وقاحة أزوالد ، أو حماقته هو في نفي كورديليا ، أو انه يشير إلى اللذع في تهكم البهلول الذي سيسميه بعد قليل بـ « بهلول المرير » .

ووفر أكثر مما تبذّر ،
دع عنك خمرك ثم عهرك
والزم من دارك عقرك ،
تجد في كل عشرين لديك
أكثر من عشرتين .

كنت هذا لا شيء يا بهلول .

بهلول إذن فهو كأنفاس محام لم ينقد أجره ، فأنت أعطيتني لا شيء مقابلا له . ألا تستطيع الإفادة من لا شيء يا عمك ؟

لير طبعاً لا ، يا ولدي . لا شيء يؤتى من لا شيء .

بهلول (لكنت) أرجوك أن تقول له ان ذلك حصيلة الايجار من أراضيه . فهو لن يصدق البهلول .

لير بهلول مرير !

بهلول اتعرف الفرق يا ولدي بين بهلول عذب وبهلول مرير ؟

لير لا يا فتى . علّمني .

بهلول ذاك الأمير الذي قد نصحك
بالجود بأراضيك كلها
جيء به إلى جانبي —
مثّله أنت بنفسك :
يظهر في الحال كلاهما :
بهلول العذب والمرير ،
أحدهما في ملوّنة [١٣] هنا
والآخر واقفاً هناك . (مشيراً الى لير)

لير أتدعوني بهلولا يا ولد ؟

بهلول ألقابك الأخرى كلها تخليت عنها ، أما ذاك اللقب فقد وُلد معك .

---

(١٣) الملونة هي بدلة البهلول ، وهي تتألف من رقع كثيرة الألوان .

كنت	هذا ليس بهلولا كله يا مولاي .

بهلول	لا والله ، فالأمراء وكبار القوم يحولون دوني ودون ذلك . ولو مُنحتُ احتكاراً له ، لطالبوا بحصة فيه . والسيدات كذلك ، يمنعني عن الاستئثار بالبهلول لنفسي ، ويتخاطفنه مني . عمّاه ، أعطني بيضة أعطِك تاجين .

لير	وما التاجان ؟

بهلول	عندما أقسم البيضة نصفين وآكل ما فيهما ، يبقى التاجان من قشرتها . ساعةَ شطرتَ تاجك نصفين ، ووهبت كليهما ، حملت حمارك في الوعر على ظهرك[١٤].ما أقل العقل في تاج رأسك الأصلع حين ألقيت عنك بتاج رأسك الذهبي ! إن كنت أتحدث في هذا حديث البهاليل ، فلتأمر بجلد أول من يتبيّن أن الأمر كذلك .

(يغني) عزّ البهاليل انقضى
فالحكماءُ اليوم هُبْلٌ ،
العقل فيهم عاطلٌ
والشيَمُ منهم كالقرود .

لير	متى اعتدتَ الفيض بالأغاني يا فتى ؟

بهلول	أخذت أغني منذ ان جعلتَ من كلتي ابنتيك أمّاً لك . إذ حين أعطيتهما العصا وأنزلت سراويلك ،

(يغني) راحتا تذرفان دموع الفرح
وذرفت أنا دموع الحزَن ،
على ملك كالأطفال يلهو
ويندسّ بين المجانين .

أرجوك ، عماه ، جيء بمعلم يلقن بهلولك الكذب . أود لو أتعلم الكذب .

لير	والله لو كذبتَ لأمرنا بجلدك .

بهلول	لست أدري أية قربى بينك وبين ابنتيك : هما تأمران بجلدي إن نطقت

(١٤) الإشارة إلى حكاية إيسوب الشهيرة عن الرجل وولديه والحمار .

بالصدق ، وأنت تأمر بجلدي إن نطقت بالكذب . واجلد أحياناً لأنني ألجأ
إلى الصمت . ليتني ما كنت بهلولا بل أي شيء آخر . لكنني لن أتمنى
لو كنت أنا أنت ، عماه . لقد قصقصتَ عقلك من الطرفين ، فلم
تترك شيئاً في الوسط . وها هي إحدى القصاصات قادمة .

(تدخل غونريل)

لير: ها يا بنيّة ! ما الذي يُلبسك هذا الحجاب [١٥] ؟
أراك هذه الأيام تبالغين في العبوس .

بهلول: لقد كنتَ فتى جميلا يوم لم يكن يهمك شيء من عبوسها . أما الآن فأنت
صفر بلا رقم . إني خير منك الآن : أنا بهلول ، وأنت لا شيء .
(لغونريل) اي والله ، سأمسك عن الكلام . وجهك يأمرني بذلك ،
وإن لم تقولي شيئاً .
حوتة يا حوته :
تعبانُ مَن بذّر وما
أبقى لنفسه فتفوته .
هذه قشرة بزالية ! (مشيراً الى لير)

غونريل: سيدي ، لا بهلولك هذا فحسب ، المتروك له الحبل على الغارب ،
ولكن آخرين أيضاً من حاشيتك الرعناء
يتنابزون ويتشاجرون كل ساعة ، وينطلقون
في عربدات فاضحة لا تطاق . سيدي ،
لقد حسبت إن أنا أطلعتك على هذا
لا بد أني واجدة إصلاحاً له . ولكني الآن جعلت أخشى ،
بما فعلت أنت وقلت بعد أن فات الأوان ،
أنك تحمي هذه الأفعال وتستثيرها
بموافقتك . فإذا كان الأمر كذلك

---

(١٥) مجازاً ، أي نظرة العبوس .

لن ينجو الخطأ من اللوم ، ولا الاصلاح يتقاعس ،
رغبة مني في الحفاظ على حُكْم سليم ،
مما قد يسبب لك في التنفيذ إساءةً
تعاب عليّ ، لولا أن الضرورة
ستبدي ان هذا هو سبيل السداد .

بهلول لأنك تعلم ، يا عماه
راح الدوري يطعم الوقوق
حتى أكل الوقوق رأس الدوري [١٦]
وهكذا انطفأت الشمعة ، وبقينا في الظلام .

لير هل أنت إبنتنا ؟

غونريل ليتك تُعمِل حكمتك ،
التي أعلم أنك مليء بها ، فتُقلع
عن هذه النزوات التي غدت تُبعدك
عن حقيقة نفسك .

بهلول ألا يعرف الحمار متى تجرّ العربة الحصان ؟ أحبكِ والله يا حنّونة !

لير هل هنا من يعرفني ؟ هذا ليس لير :
أيمشي لير هكذا ؟ أينطق هكذا ؟ أين عيناه ؟
عقله يضعف ، وإدراكاته
يصيبها الشلل . ها ! أواعٍ أنا ؟ كلا .
من له أن يخبرني من أنا ؟

بهلول ظل لير .

لير أعلموني . لأنني اعتماداً على دلائل السيادة ، والمعرفة ،
والعقل ، لن أقنع إلا كذباً بأن لي بنات .

بهلول يجعلن منك أباً مطيعاً .

---

(١٦) كان هذا مثلا يضرب على نكران الجميل .

لير ما اسمك ، أيتها السيدة الحسناء ؟

غونريل هذا الاستغراب ، يا سيدي ، شديد الشبه
بألاعيبك الجديدة الأخرى . أرجوك
أن تفقه ما أرمي إليه على وجهه الصحيح .
ما دمتَ شيخاً جليلا ، عليك بالحكمة .
إنك تؤوي هنا مئةً من الفرسان والمرافقين ،
كلهم عربيد خليع وقح ،
حتى بدا بلاطنا ، وقد أوبأته عاداتهم ،
أشبه بالخان الصاخب . وبفجورهم وأبيقوريتهم
صار أشبه بالحانة أو المبغى
منه بقصر شريف . إن الحياء لينص على
ضرورة العلاج فوراً . ولذا فإنني أطلب إليك —
وإلاّ أخذتُ قسراً ما ألتمس —
أن تقلل من حاشيتك .
وعلى الباقين ممن سيقومون بخدمتك
أن يكونوا قوماً لائقين بسنك ،
يعرفون قدرك وقدر أنفسهم .

لير يا ظلاماً ، يا شياطين !
أسرجوا خيلي . جمّعوا حاشيتي .
يا ابنة الحرام الحقيرة ! لن أزعجك .
ما زالت لدي ابنة أخرى .

غونريل تضرب جماعتي ، وأجلافك المشاغبون
يجعلون خدماً ممن هم أشرف منهم .

(يدخل ألبني)

لير الويل لمن يندم بعد أن فات الأوان ! ها ، سيدي ، أجئت ؟

أهذه مشيئتك ؟ تكلم يا سيدي . هيئوا خيلي .
أيها العقوق ، يا شيطاناً قلبه من رخام ،
لأقبح من وحش البحر أنت حين تتبدّى
في ولد إزاء أبيه .

البني	أرجوك صبراً ، يا سيدي .

لير (لفونريل) أيتها الحدأة المهجورة [١٧] ! تكذبين .
حاشيتي رجال كرام نادرو الخصال ،
يعرفون خصائص واجبهم كلها ،
وفي أدق التفاصيل لا يأتون إلا
ما يدعم سمعتهم النبيلة . يا أصغر الأخطاء كلها ،
ما أقبح ما بدوتَ في كورديليا !
فرحتَ كآلة تنتزع هيكلي الطبيعيَّ
من مستقرّه وتمتص كل ما في قلبي من حب ،
وتضيف مُراً إلى المرارة ! لير ، يا لير ، يا لير !
إضرب الباب هذا الذي أدخل جنونك (يضرب رأسه)
وأخرِجَ عزيز رشدك ! هيّا ، يا قوم ، هيّا .

البني	لا ذنب لي ، يا مولاي . لست أدري
ما الذي أثارك .

لير	لعلك صادق ، يا سيدي .
أيتها الطبيعة اسمعي ، اسمعي ! أيتها الآلهة العزيزة اسمعي !
إن كنت قد شئت لهذه المخلوقة خِصْباً ،
فامنعي مشيئتَك عنها !

---

(١٧) يقول الناقد آرمسترونغ في كتابه « خيال شكسبير » أن الحدأة عند شكسبير « مخلوق حقير يرمز إلى الجبن ، والضعة ، والقسوة ، والموت » ، ويدلل على ان الإشارة اليها تقترن عادة بالاشارة إلى الفراش ، والموت ، والأرواح ، والطيور ، والطعام . في سياقنا هذا لدينا : « قلب من رخام » ، « الشياطين » ، « الابيقورية » .

أنزلي العُقم برحمها !
يبّس أعضاء النسل فيها
فلا ينطلق يوماً من جسمها المنحط
طفلٌ يشرّفها ! وإن كان لها أن تلد ،
إصنعي طفلها من السوداء ، ليحيا
عذاباً لها من شذوذ وقسوة !
ليَطبعَ الغُضونَ في جبينها الفتيّ ،
وبالدمع الهتون ليحفرَ المجاري في خديها ،
ويُحيلَ هموم الأمّ فيها
ضحكاً وزراية ، لعلها تشعر
أن للولد العاقّ فعلا
أمضى من أنياب أفعى ! هيا ، هيا ! (يخرج)

البني: يا آلهةً نعبدها ، ما الداعي إلى هذا ؟

غونريل: لا تزعج نفسك بمعرفة المزيد :
بل دع لمزاجه المجال الذي
يدفعه اليه الخرَف .

(يدخل لير مرة أخرى)

لير: ماذا ! أخمسون من أتباعي بضربة واحدة
في اسبوعين اثنين !

البني: سيدي ، ما الأمر ؟

لير: سأخبرك . (لغونريل) وحقّ الحياة والموت إني
ليخجلني أنك تقدرين على زعزعة رجولتي هكذا ،
وأن دموعي السخينة هذه ، التي تطفر عني قسراً ،
تجعلك جديرة بها . ألا لَفَتَكَتْكِ الزعازع والضباب !
وما في لعنة الأب من جروح لا تداوى

ألا فلتخرق كلُّ حسٍ فيك !
إن أنت ، يا عيني الحمقاءَ ، بكيت هذا الأمر ثانية ،
إقتلعتُك وألقيتك بما فيك من ماء تطلقينه ،
لتطيّني التراب . أجل ، أهذا ما بلغناه ؟
ها ! فليكن ! لي ابنة أخرى
كريمة مؤاسية ، دونما ريب .
إذا ما سمعتْ بهذا عنكِ فإنها بأظفارها
ستسلخ وجهك الذئبي هذا . ولسوف ترين
أنني سأسترد الشكل الذي تحسبين
أنني ألقيت به عني إلى الأبد .

(يخرج لير ، وكنت ، والمرافقون)

غونريل أرأيت ؟

البني غونريل ، لا أستطيع التحيّز
لحبي العظيم لك ، —

غونريل أرجوك ، كفى . ازوالد ، أين أنت ؟
(لبهلول) وأنت ، يا سيد ، يا وغداً أكثر منك بهلولا — الحق بسيدك .

بهلول عماه ، عماه لير ، تريث ، خذ البهلول معك .
ثعلبة اصطدتُها
وفتاة كهذه ، سأهرع بها ،
للمسلخة ،
لو تشتري قبعتي حبلا لها !
بهلولُ ، إذن ، عليك بها !

(يخرج)

غونريل كان لهذا الرجل من أحسن النصح له . مئة فارس !
من الدهاء والحيطة أن يحتفظ

بمئة فارس مسلّح مهيأ . وإذا هو لأقلّ حلم ،
لأقل شائعة، لأقل وهم ، لأقل شكوى أو استياء
يذود عن خرَفِه بقواهم
ويجعل حياتنا تحت رحمته . أزوالد ، أين أنت ؟

البني — قد تبالغين في الخشية .

غونريل — ذاك خير من أن أبالغ في الائتمان .
لخيرٌ أن أدفع دوماً أذى أخشاه
من أن أخشى دوماً أن ينالني الأذى . أعرف قلبه .
وما قاله كتبتُهُ لأختي
فإذا رعته وفرسانه المئة ،
بعد أن بيّنتُ لها عدم الصلاح —

(يدخل ازوالد)

والآن يا أزوالد ؟
هل كتبت تلك الرسالة إلى أختي ؟

أزوالد — نعم ، مولاتي .

غونريل — خذ بعض الرفاق معك ، وعليكم بالخيل .
أخبرها مفصّلا بمخاوفي الخاصة ،
وأضف إليها من أسباب من لدنك
ما يزيد من حجتها . هيا اذهب
وعد بسرعة .

(يخرج ازوالد)

لا ، لا ، يا مولاي ،
طريقتك الرقيقة اللطيفة هذه
وإن كنتُ لا أشجبها ، فإنها عند العفو
ستكون سبباً في القدح بجهالتك

	أكثر من الإطراء على لينك المؤذي .
ألبني	لا أعرف مدى ما تنفذ اليه عيناك :
	كثيراً ما نحاول أن نكحّل العين ، فنعميها .
غونريل	إذن —
ألبني	لا بأس ، لا بأس . النتيجة .

المشهد الخامس

فناء أمام قصر دوق ألبني .
يدخل لير، وكنت ، وبهلول .

لير	إسبقني إلى غلوستر (١٨) بهذه الرسائل . لا تُعلم إبنتي بما تعرف أكثر مما يتأتى عما توحيه الرسالة من سؤال . إذا لم تُجِدّ وتسرع فإنني سأكون هناك قبلك .
كنت	لن أنام يا مولاي حتى أسلّم رسالتك . (يخرج)
بهلول	إذا كان عقل المرء في كعبه ألا يُخشى عليه من التشقق ؟
لير	نعم يا ولدي .
بهلول	إفرح إذن ، أرجوك . لن يحتاج عقلك إلى نعل يحتذيه (١٩)
لير	ها ها ها !
بهلول	سترى إبنتك الثانية تعاملك على فطرتها . فهي إن تشبه هذه كما تشبه التفاحة التفاحة ، فإنني أعرف ما أعرف .
لير	وماذا تعرف يا ولدي ؟
بهلول	سيكون طعمها كطعم هذه، كما تشبه التفاحةُ الحامضة التفاحةَ الحامضة . أتعرف لماذا جُعل الأنف في وسط الوجه ؟

(١٨) أي بلدة غلوستر التي يقع بقربها قصر الدوق .
(١٩) أي ، لن يحتاج لير إلى نعل يحفظ به كعبه من التشقق ، إذ ليس لديه عقل حتى في كعبه ، بتجشمه مشقة الرحيل إلى ابنته الثانية ريغن .

لير كلا .

بهلول ليكون للمرء عين على كل ناحية من أنفه ، فما يعجز عن شمّه لا يعجز عن رؤيته .

لير لقد ظلمتُها —

بهلول أتعرف أنت كيف تصنع المحارة صدفتها ؟

لير كلا .

بهلول ولا أنا . ولكنني أعرف لماذا يحمل الحلزون قوقعة لنفسه .

لير لماذا ؟

بهلول ليضع رأسه فيها ، فلا يسلّمه لبناته ، ويترك قرنيه بلا قراب .

لير سأنسى طبيعتي . أنا الأب الحنون ! هل جُهّزتْ خيلي ؟

بهلول حميرُك تعنى بها . أما أن الكواكب السبعة [٢٠] هي سبعة لا أكثر ، فإن لذلك سبباً مناسباً .

لير لأنها ليست ثمانية ؟

بهلول اي والله ! لو شئتَ لكنتَ من أحسن البهاليل .

لير تأخذها عنوة ! يا لَجُحود الوحش !

بهلول لو كنتَ بهلولي يا عماه ، لأمرتُ بضربك لشيخوختك قبل أوانك .

لير وكيف ذلك ؟

بهلول كان عليك ألا تشيخ قبل أن تعقل .

لير لا تدعني أجنّ ، أجنّ ، أيتها السماء العذبة !
أبقي على اتزاني . لا أريد أن أجن !

(يدخل مرافق)

والآن ، هل هيأتم الخيل ؟

---

(٢٠) أي الثريا .

مرافق إنها مهيأة ، يا مولاي .

لير هلمّ يا ولدي .

بهلول (متجهاً نحو المشاهدين)

من تكن منكنّ عذراء وتضحك فقط لما أقول
لن تطول بها العذرة ، إلا إذا قصصنا من الأمور[٢١] .

(٢١) من الأبيات التي يعتقد أنها حشو مقحم على النص الشكسبيري .
والعبارة تعني أن العذراء التي لا ترى إلا ناحية الهزل من لواذع بهلول ، ولا تدرك أن لير مقبل على مأساة ، فانها من السذاجة بحيث لن يطول بها أمد البتولة .

الفصل الثاني

المشهد الاول	فناء داخل قلعة ايرل غلوستر . يدخل ادموند ، وكرن ، فيلتقيان .

ادموند مرحباً ، يا كـرَن .

كرن مرحباً يا سيدي . كنت مع أبيك ، وقد أخطرته بأن دوق كورنوول وعقيلته ريغن سيكونان الليلة هنا معه .

ادموند كيف جرى ذلك ؟

كرن لست أدري . هل سمعتَ ما يتقول الناس به ؟ أقصد ما يتهامسون به ، فهو حتى الآن لا يعدو كونه مما يعابث الآذان .

ادموند كلا . ما هو ؟

كرن ألم تسمع بإمكان وقوع حرب وشيكة بين دوق كورنوول ودوق البني ؟

ادموند ولا كلمة .

كرن لعلك إذن ستسمع ، عن قريب . وداعاً يا سيدي .

(يخرج)

ادموند الدوق هنا الليلة ! رائع ، رائع !
إن هذا لينضفر قسراً فيما أريد .
لقد عين أبي حرساً لاعتقال أخي .
ولديّ أمر واحد يقتضي الدقة

وعليّ أن أفعله . أيها الحظّ ، أيتها السرعة ، هيّا بكما !
أخي ، كلمة ! إنزل ، أخي ، إنزل !

(يدخل ادغار)

أبي يترقّب : اهرب من هذا المكان
فقد بلغه خبرٌ عن مخبئك .
لديكَ الليل تُفيد منه الآن .
ألم تتهجم على دوق كورنوول ؟
إنه قادم هنا الآن ، في الليل ، على عجل ،
وبرفقته ريغن . ألم تقل شيئاً
من جانبه ، ضد دوق البني ؟
تأمل .

ادغار ولا كلمة . قطعاً .

ادموند اسمع أبي قادماً . العفو :
سأتظاهر بأنني أشهر سيفي عليك .
أشهر سيفك . تظاهر بالدفاع عن نفسك . أحسن البلاء !
(صائحاً) سلّم ! تعال أمام أبي ! النور ، يا قوم !
(بصوت منخفض) اهرب يا أخي . (صائحاً) المشاعل ! المشاعل !
(بصوت منخفض) وداعاً !

(يخرج ادغار)

(جارحاً ذراعه) قليل من التزيف سيدعو إلى الظن
بأنني ضَـرَوْتُ في محاولتي . لقد رأيت سكّيرين
يفعلون لهواً أكثر من هذا . أبي ! أبي !
قفوا ، قفوا ! أما من نجدة ؟

(يدخل غلوستر مع خدم يحملون مشاعل)

غلوستر ها ، ادموند ، أين النذل ؟

ادموند		تربص هنا في الظلام ، وسيفه الماضي مسلول ،
وهو يتمتم بتعاويذ شريرة ، مهيباً بالقمر
أن يُحسن فأله [٢٢] .

غلوستر		ولكن أين هو ؟

ادموند		أنظر يا سيدي ، دمي يسيل .

غلوستر		أين النذل يا ادموند ؟

ادموند		هرب من هنا ، إذ لم يستطع —

(يخرج بعض الخدم)

غلوستر		إلحقوا به ! عليكم به !
« إذ لم يستطع » ماذا ؟

ادموند		إغرائي بقتلك يا سيدي .
بل قلت له إن الآلهة المنتقمة
تصوّب الرعد على كل من يقتل أباه .
وحدثته عن عديد الروابط القوية
التي تربط الولد بأبيه . والخلاصة يا سيدي ،
لما رأى أنني أقف موقف النقيض المر
لما يبغيه من شذوذ ، جاءني عاتياً
والسيف مشهر في يده وانهال عليّ
وأنا من غير حمى ، وطعن ذراعي :
وإذ رأى عزيمتي تهبّ
لمواجهته ، جريئةً لنجدة الحق في هذا الخصام ،
أو لعله ارتعب من صرختي ،
فإنه فجأة فرّ من أمامي.

(٢٢) يستغل ادموند بهذا إيمان أبيه بالغيبيات .

غلوستر	مهما أمعن في فراره ،
فإنه لن يبقى طليقاً في هذه الأرض .
حالما تجده — إقضِ عليه . سيدي النبيل الدوق ،
وهو أميري الكريم الأول ، قادم هذه الليلة .
ولسوف أعلن بسلطة منه
أن كل من يلقاه يستحق امتناننا
إنْ هُوَ جاء بالقاتل الرعديد إلى الخشبة ،
والموت لمن يتستّر عليه .

ادموند	حينما حَذّرتُه من قصده
ووجدته مصمماً عليه ، هددت بفضحه
بأغلظ الألفاظ ، فأجاب :
« أيها النغل المُعدَم ! أتحسب
إن أنا وقفت في وجهك أن ثمة فيك
ثقةً أو فضيلة أو جدارة
تجعل أحداً يصدق ما تقول ؟ كلا : وما أنكره —
لأنني سأنكره ، حتى ولو أبرزتَ للملأ
ما خططتَه بيدي — سأعزوه كله
إلى حثك وتآمرك وخبث خداعك :
ولَتَحْسبنَّ الناسَ أغبياء
إن هم لم يروا أن في موتي لك من الفوائد
البيّنة ما هو مُترع
باغرائك على طلبه . »

غلوستر	يا للنذل العنيد العجيب !
أقال إنه سينكر هذه الرسالة ؟ لا كان ولدي !

(أبواق من الداخل)

إسمع ! أبواق الدوق . لا أدري فيم مجيئه .

المنافذ كلها سأسدها . لن يخلص النذل .
يجب على الدوق أن يأذن لي بذلك . ثم إنني
سأرسل صورته للقاصي والداني ، لكي يعلم به
كل من في المملكة . أما أنت ،
يا ولدي الطبيعي [٢٣] الوفيّ ، فسأعدّ العدة
لأمكّنك من ميراث أراضيّ .

(يدخل كورنوول وريغن ، ومرافقون)

كورنوول مرحباً بصديقي النبيل ! ما كدت أصل هنا ،
ولي أن أقول إنني الآن وصلت ، حتى سمعت نبأً غريباً .
ريغن إن يكن صحيحاً ، مهما يلحق المسيء
من انتقام فإنه لن يَفيَهُ حقه . كيف حالك يا سيدي ؟
غلوستر آه يا مولاتي ، قلبي المسن قد تفطّر ، تفطّر .
ريغن ماذا ! هل راح إشبين أبي يطلب حياتك ؟
هذا الذي سمّاه أبي ، إبنك ادغار ؟
غلوستر آه يا سيدتي ، أكتم ذلك خشية العار .
ريغن ألم يكن رفيق الفرسان المعربدين
الذين يخدمون أبي ؟
غلوستر لا أدري ، مولاتي . عيب ، عيب .
ادموند أجل مولاتي ، كان أحد صحْبِهم .
ريغن لا عجب إذن إن هو قد خان .
هم الذين حرضوه على قتل الشيخ
ليحظوا بأمواله فيُنفقوها ويبذّروها .
لقد أرسلتْ إليّ أختي هذا المساء بالذات

(٢٣) فيها تورية يقصد بها غلوستر : ان الطبيعي في الولد أن يكون وفياً ، وان ادموند ابن طبيعي ، أي غير شرعي ، ومع ذلك فقد برهن على وفائه ، اكثر من ابنه الشرعي .

تُعلمني بهم ، وتحذّرني
إذا هم جاؤا للإقامة في منزلي
ألاّ أكون فيه .

كورنوول وأنا كذلك ، قطعاً ، يا ريغن .
ادموند ، بلغني أنك قمت لأبيك
بمهمة الابن ؟

أدموند واجب علي ، يا سيدي .

غلوستر لقد فضح خديعته . فناله
هذا الجرح الذي ترون ، إذ حاول اعتقاله .

كورنوول أملاحَق هو الآن ؟

غلوستر نعم ، مولاي الكريم .

كورنوول إذا ألقي القبض عليه ، لن يخشى أحد
أذى منه . قرر أمرك
بما تشاء من سلطتي . أما أنت يا ادموند ،
فإن طاعتك المفضالة الآن تزكّيك
لتكون أحد رجالنا .
إن بنا مسيس الحاجة لمن هم خالصو الأمانة مثلك .
أنت أول من نأخذ .

ادموند سأخدمكم ، يا سيدي ،
بإخلاص مهما يكن .

غلوستر أشكر سموكم نيابة عنه .

كورنوول أنت لا تدري لماذا جئنا لزيارتك —

ريغن في غير موعد الزيارة ، كالخيط في سُمّ الليل :
أسباب ذات شأن ، أيها النبيل غلوستر ،
لا بد لنا من مشورتك فيها .

لقد كتب إليّ أبي ، وكذلك أختي ،
عن خلافات وجدت أن الأفضل
أن أجيب عنها بعيدة عن بيتنا . رُسُلنا العديدون
على أهبة الإيفاد من هنا . أيها الصديق القديم الكريم ،
واسِ صدرك ما استطعت ، وهبنا
نصحك الضروري في أمرنا
الذي يطالبنا بالتنفيذ في الحال .

غلوستر	إني في خدمتكما ، مولاتي .
أهلا وسهلا بسموكما .

(أبواق . يخرجون)

المشهد الثاني	قرب قلعة غلوستر . يدخل كنت وأزوالد ، كل من ناحية

أزوالد	فجر الخير يا صاح . هل أنت من خدم الدار ؟
كنت	نعم .
أزوالد	أين نضع خيلنا ؟
كنت	في الوحل .
أزوالد	أرجوك ، أخبرني ، إن كنت تحبني .
كنت	لا أحبك .
أزوالد	إذن لا أودك .
كنت	لو أوقعتك في حظيرة القبضتين ، لجعلتك تودني .
أزوالد	لم تعاملني هكذا ؟ أنا لا أعرفك .
كنت	يا غلام ، أنا أعرفك .
أزوالد	ماذا تعرف عني ؟
كنت	أعرف أنك وغد ، لئيم ، آكل فضلات ، وانك وغد وضيع ، متعجرف ،

ضحل ، مترلف ، لك ثلاث بدلات ومئة دينار ، وتلبس جوارب صوف قذرة [٢٤] ، وانك مكار خائر القلب ، خدوم الموبقات ، شديد التصنع ، إبن زانية تقاضي الناس وتعشق النظر في المرآة ، عبد لا تملك إلا حقيبة واحدة ، ولا تتردد في أن تقوّد ، إرضاء لمخدومك . ما أنت إلا مزيج من نذل ، وشحاذ ، وجبان ، وقواد ، وابن كلبة هجين ووريثها . ولسوف أشبعك ضرباً حتى تصيح وتولول إن أنت أنكرت حرفاً واحداً مما وصفتك به .

أزوالد يا لك من همجيّ ، أتسخر من رجل لا تعرفه ولا يعرفك !

كنت يالك من خادم صفيق ، أتنكر أنك تعرفني ! هل مرّ يومان منذ أن عرقلتك وضربتك أمام الملك ؟ جرّد السيف ، يا لئيم ! رغم الليل ، فإن القمر مضيء . سأجعل منك ثريداً من ضوء القمر ! (يجرد سيفه) جرّد السيف يا ابن الزانية ، يا هجهاجاً عميلَ الحلاقين ، سيفَك !

أزوالد إليك عني ! ليس لي شأن معك .

كنت سيفك ، يا نذل ! تأتي برسائل ضد الملك ، وتساند « دمية الغرور » [٢٥] ضد سلطان أبيها . سيفك ، يا لئيم ، وإلاّ جعلت كباباً من كاحليك . جرّد سيفك يا نذل . تقدم .

أزوالد النجدة يا ناس ! سيقتلني ! النجدة !

كنت إضرب يا عبد . قف يا لئيم ، قف . يا عبداً مُهَنْدَماً ، إضرب !

أزوالد النجدة ! سيقتلني ، سيقتلني !

ادموند ما هذا ؟ ما الخلاف ؟ إفترقا !

كنت مع سيادتك يا غلام ، أرجوك . تعال لأدشّنك ، هيّا ، يا ولد .

(يدخل كورنوول ، وريغن ، وغلوستر ، وخدم)

---

(٢٤) بهذا الكلام وما يليه يعير كنت ازوالد بأنه خادم جبان يتظاهر بأنه من السادة . كان يخصص للخدم في السنة ثلاث بدلات ومئة دينار . وجوارب الصوف لا يلبسها السادة ، فهم يلبسون جوارب الحرير .

(٢٥) « الغرور » من شخصيات مسرحيات « الأخلاقيات » القديمة ، التي كانت كثيراً ما تمثلها مسارح الدمى . والمقصود بدمية الغرور هنا ، بالطبع ، ريغن .

غلوستر سيوف ! وأسلحة ! ما الذي يجري هنا ؟
كورنوول عليكما بالسلام ، وإلا فالموت !
من يضرب ثانية يُقتلْ . ما الأمر ؟
ريغن الرسولان القادمان من أختي ومن الملك .
كورنوول فيم الشجار ؟ تكلما .
أزوالد يكاد نَفَسي أن ينحبس يا مولاي .
كنت لا عجب ، لشدة ما استثرتَ شجاعتك . الطبيعة براء منك ، أيها الرعديد .
ما أنت إلا من صنع خيّاط .
كورنوول غريب أمرك يا رجل : أيصنع خياط إنساناً ؟
كنت خياط ، يا سيدي . فما كان لنحات أو رسام أن يسيء صنعه إلى هذا الحد ،
حتى ولو لم تنقض سنتان على تعامه الحرفة .
كورنوول تكلم ، كيف نشأ الخلاف بينكما ؟
أزوالد سيدي ، هذا الجلف العجوز الذي وفّرت عليه حياته رأفة بلحيته البيضاء —
كنت يا ابن الزانية ، يا همزة ، يا حرفاً لا ضرورة له ! سيدي ، إن سمحت لي ،
سأدوس هذا النذل المكتّل وأسحقه طيناً ، لألبخ به جدار مرحاض .
أرأفت بلحيتي البيضاء ، يا هزّاز الذيل ؟
كورنوول كفى يا هذا !
ألا تحترم أحداً أيها الوغد الهائج ؟
كنت بلى ، سيدي . ولكن للغضب أحكامه .
كورنوول وفيم غضبك ؟
كنت لأن رقيقاً كهذا يحمل سيفاً
ولا يحمل أي شرف . فاللئام البسّامون أمثاله ،
كالجرذان ، كثيراً ما يقرضون الروابط المقدسة
التي هي أمتن من أن تُحَلّ ، ويداهنون كل نزوة

تتمرد في طبائع أسيادهم ،
فهم زيت للنار ، أو ثلج للحالات الباردة :
يُنكرون ويؤيدون ، ويحوّلون مناقيرهم العصفورية
مع كل عاصفة تنقلب في أسيادهم .
إنهم كالكلاب لا يعرفون إلا اللحاق .
(لازوالد) لفّ الطاعون وجهك المصروع !
أتبتسم لما أقوله ، كأنني بهلول ؟
والله يا أوزّه ، لو رأيتك على سهل « ساروم »
لَسُقْتُكَ وأنت تقوقيء إلى خُمّك في « كامِلوت » !

كورنوول ما هذا ؟ أمجنون أنت يا شيخ ؟

غلوستر لم الخصام ؟ تكلم .

كنت ليس بين ضدين من كراهية
أكثر مما بيني وبين هذا النذل .

كورنوول لم تدعوه بالنذل ؟ ما ذنبه ؟

كنت وجهه لا يروق لي .

كورنوول ولا وجهي ، ربما ، أو وجهه ، أو وجهها .

كنت سيدي ، مهنتي الصراحة :
لقد رأيت في زماني وجوهاً أحسن
من أي وجه على أي عنق أراه
أمامي في هذه اللحظة .

كورنوول هذا رجل
امتُدِحَ يوماً لغليظ صراحته ، فراح يصطنع
خشونة وقحة ، ويمسخ أسلوب القَوْل
عن طبيعته . لا يستطيع التملق ، حضرته ،
مخلص صريح ، وعليه النطق بالحق .

وسيعتبرون نطقه حقاً ، وإلا ، فإنه صريح ، لا غير.
هذا اللون من الأوغاد أعرفه . فهم في صراحتهم هذه
يكنّون من الخداع وفساد القصد
أكثر من عشرين خادماً خنوعاً
يدقق واجباته إلى ما لا نهاية .

كنت سيدي ، قسماً بالأمانة والحقيقة ،
إن يسمحْ عظيمُ محياك الذي
يوزع الأقدار كإكليل من سواطع النار على
جبهة الشمس اللاهبة —

كورنوول ما الذي تعنيه بهذا ؟

كنت الخروجَ عن نطقي المألوف الذي ذممتَه . أنا أعلم
أنني لست منافقاً : أما الذي خادعك بصريح
اللفظ فهو وغد صريح ، وهذا ما آباه لنفسي
وإن أغضبتُك بالتوسل لجعلي
من أمثاله (٢٦)

كورنوول بماذا أسأت إليه ؟

أزوالد لم أسيء قط إليه .
لقد راق للملك سيده ، مؤخراً ،
أن يضربني لسوء فهم منه .
وإذا هو يتعصب له ويداجي سخطه
ويعرقلني من الخلف . فلما وقعت ، أهانني وسخر مني ،
وتلبّس من الرجولة لبوساً
يشرّفه ، واستدرّ مديح الملك

(٢٦) وان أغضبك الخ : من العبارات التي اختلف المفسرون فيها ، وفسروها على أوجه كثيرة لغموض تركيبها في الأصل .

لتهجمه على من قد أخضع نفسه بنفسه .
وإذ استدمى في مغامرته الرهيبة تلك
جرّد سيفه عليّ هنا من جديد .

كنت ما من لئيم أو جبان من هؤلاء
إلا ويستهبل حتى إياس (٢٧) نفسه !

كورنوول أحضروا الدَّهَق ! (٢٨)
سنلقنك درساً ، أيها النذل المسن الشرس ،
أيها المفخفخ العجوز .

كنت سيدي ، لقد فات وقت تعلّمي .
لا تستحضر الدهق لي . إني أخدم الملك ،
وقد أرسلت في مهمة له إليك .
وإنك لتُبدي أقل الإجلال وأبلغَ التطاول والحقد
لهيبة سيدي وشخصه ، إن أنت
وضعت رسوله في الدهق .

كورنوول أحضروا الدهق !
قسماً بحياتي وشرفي ، ليجلسنّ فيه حتى الظهر .

ريغن حتى الظهر ! حتى الليل يا مولاي . والليلَ كلّه أيضاً .

كنت سيدتي ، لو كنت كلب أبيك
لما عاملتني هكذا .

ريغن سيدي ، لإنك من رجاله ، سأعاملك هكذا .

كورنوول هذا رجل من ذلك اللون عينه

---

(٢٧) اياس : من أبطال الإغريق في حروب طروادة ، وأشجعهم جميعاً باستثناء أخيل .
(٢٨) «الدهق» أقرب كلمة في العربية إلى آلة التعذيب تدعى بالانكليزية Stocks . وهي تؤلف من أخشاب فيها ثقوب تفتح وتغلق لليدين والرجلين والعنق ، يحبس فيها الانسان . وقد كان من شأن بيوت الأسر الارستقراطية أن تحوي هذه الآلة ، لمعاقبة من يبالغ في سوء التصرف أو الكلام إزاء من هم أعلى منه منزلة .

الذي تتحدث عنه أختنا . هيّا ، اجلبوا الدهق .

(يحضرون الدهق)

غلوستر أتوسّل إلى سموكم ألا تفعلوا ذلك .
ذنبه كبير ، والملك سيده الكريم
سيؤنّبه عليه . أما التقويم المهين الذي نويتموه
فهو لأحطّ وأزرى التعساء
يعاقَبون به لاختلاسٍ أو تجاوز حقير .
ولسوف يستاء الملك
أن يُحَطّ من قدره في رسوله
حين يُقاصص على هذا النحو .

كورنوول أنا المسؤول عن ذلك .

ريغن وأختي ستكون أشد استياء بكثير
حين ترى أن وصيفها قد أهين ، وهوجم ،
وهو يقوم بشؤونها . أدخلوا ساقيه .

(يوضع كنت في الدهق)

كورنوول هيا نذهب ، يا سيدي .

(يخرج الجميع إلا غلوستر وكنت)

غلوستر إني آسف لك ، يا صديق . إنها رغبة الدوق ،
والناس كلهم يعلمون ان ميوله
لن يعوقها أو يصدّها أحد . سأرجوه من أجلك .

كنت أرجوك ألا تفعل ، سيدي . إني مرهق بالسهر والترحال .
سأنام بعض الوقت ، واصفر بقيته .
حظ الكريم قد ينتهي إلى شظف .
طاب نهارك !

غلوستر الدوق في هذا ملوم ، ولن يرضى عنه أحد .

(يخرج)

كنت	يا ملكي الكريم ، إن هذا ليؤيد المثل القائل ،
من نعمة السماء إلى حرارة الرمضاء !
إقترب ياشمس ، يا مناراً لأرضنا الدنيا ،
عسى أن أقرأ هذه الرسالة
بشعاعك المعين . لا شيء يكاد يرى المعجزات
إلا الشقاء : اعرف انها من كورديليا
وقد أخبِرَتْ لحسن الحظ
بما أفعله متنكراً ، وستجد متسعاً
من حالة الشذوذ هذه لتسعى
في سدّ ما ضاع . متعبة أنت أرهقك السهر
يا عينيَ المثقلة ، فاغتنمي الفرصة لكي لا تري
مأواي هذا المعيب .
أيها الدهر ، لتصبح على خير . إبتسم ثانية ، وهلمّ أدِرْ دولابك !
(ينام)

المشهد الثالث

غابة . يدخل ادغار

ادغار	سمعتهم ينادون في طلبي .
وخلَصتُ من المطاردة في شجرة جوفاء مؤاتية .
ما من ميناء دون رقابة ، وما من مكان
إلاّ والحرس ، مع أعجب اليقظة ،
يترصدون فيه لأخذي . وما دمت فاراً
سأدافع عن نفسي . ولقد فكّرت
باتخاذ أحطّ هيئة لأضنك مسكين
هوى الإملاق به ، زراية بالانسان ،

إلى درك الوحش . وجهي سألطخه بالقـذَر ،
وأجعل خرقة على حقويّ ، وأشعّث شعري في عُقَد ،
وأعرّض عريي لمجابهة
الرياح وعسف السماء .
ولي في الريف أمثلة وسوابق
من متسولين معتوهين ، راحوا وهم يصرخون ويهدرون
يضربون في أذرعهم العاريةِ الخَدِرة ، وقد تمنّعت على الألم ،
الدبابيسَ وسياخَ الخشب والمساميرَ وعسا ليج حصى البان .
وبهذا المظهر الشنيع يستَنْدون الأكفّ
من المزارع الحقيرة ، والقرى الضّنِيّةِ المعدمة ،
من الزرائب والمطاحن ،
تارة يشتمون شتائم المجاذيب ، وتارة يدعون دعوات المصلّين .
« أنا الدرويش المسكين ! أنا توما المسكين ! »
في ذلك بعض الشيء . وما في كوني ادغار أيّ شيء .

(يخرج)

المشهد الرابع

أمام قلعة غلوستر . كنت في الدهق
يدخل لير ، والبهلول ، ومرافق

لير — غريب منهما أن يرحلا من البيت هكذا ،
ولا يعيدا إليّ رسولي .

مرافق — كما علمت ،
لم يكن هذا الانتقال في البال منهما
في الليلة الماضية .

كنت — أهلا وسهلا ، سيدي النبيل !

لير	ها !
أجعلت من هذه الزراية ملهاة لك ؟
كنت	كلا يا مولاي .
بهلول	ها ها ! لقد ألبس ساقيه رباطاً قاسياً . فالخيل تُربط من رؤوسها ، والكلاب والدببة من أعناقها ، والقردة من أحقائها ، والناس من سيقانها . إذا ما أفرط المرء في شهوة الساقين (٢٩) ، لبس جوارب من .. خشب !
لير	من ذا الذي أخطأ هذا الخطأ في معرفة مكانتك
حتى وضعك هنا ؟
كنت	صهرك وابنتك ، كلاهما .
لير	لا .
كنت	نعم
لير	أقول ، لا
كنت	أقول ، نعم .
لير	لا ، لا . لن يفعلا ذلك .
كنت	نعم ، لقد فعلاه .
لير	قسماً بجوبيتر ، لا .
كنت	قسماً بجونو ، نعم
لير	لن يجرآ ،
لن يقدرا ، لن يفعلا . إنه لأفظع من القتل
أن يتجاوز أحد على ذي هيبة ، بمثل هذه الوحشية .
أجبني بما تستطيع من سرعة ، كيف
جاز لك أن تستحق ، أو لهم أن يفرضوا ، هذه المعاملة ،
وأنت رسولنا ؟
كنت	مولاي ، عندما سلّمتهما

(٢٩) أي كالمتشردين الذين لا تستقر سيقانهم لكثرة تجوالهم .

رسالة جلالتكم في منزلهما ،
ما كدت أنهض من المكان الذي أديت فيه
واجبي راكعاً ، حتى جاء رسول تفوح رائحته ،
مطبوخاً في عجلته ، مبهور النَّفَس ، وجعل يلهث
تحياته من سيدته غونريل .
وسلّمهما رسائل ، وأنا في الانتظار ،
قرآها في الحال : واعتماداً على ما جاء فيها
استدعيا الخدم والحشم ، وركبوا الخيل فوراً ،
وأمراني باللحاق وترقب الجواب
عندما يحلو لهما الجواب ، وحدجاني بنظرة باردة :
وعندما التقيت هنا بالرسول الآخر ،
الذي رأيت ترحابه يسمّم ترحابي ،
ولما كنت أنا ذاك الذي مؤخراً
أبدى الوقاحة أمام جلالتكم ،
وفيّ من رجولة أكثر مما فيّ من عقل ، جرّدت سيفي :
فأقام البيت بصراخه العالي وعياطه الرعديد .
ورأى صهرك وابنتك في ذلك إساءة
تستحق هذه الزراية التي أعانيها .

بهلول إن كنت ترى الأوز البري يطير هناك ، فالشتاء لم يذهب بعد .
إذا لبس الآباء الرّقع
لقوا من أولادهم أفّاً
وإذا حملوا أكياسهم [٣٠]
لقوا من أولادهم عطفاً .
ربة الدهر فاجرة ،

(٣٠) أي أكياس النقود .

ما دار يوماً مفتاحها لفقير .
ورغم ذلك كله ، ستجرّ عليك بناتك من هموم ما تستطيع عده كالدنانير في سنة كاملة .

لير	آه ، ان الرَّحِم لتتورم صوب قلبي —
« هستريكا باسيو » ! [٣١] أيها الحزن الصاعد انخفض ،
مكانك تحت ! أين ابنتي هذه ؟

كنت	مع دوق غلوستر ، سيدي . هنا ، في الداخل .

لير	لا تتبعوني . انتظروا هنا .

(يخرج)

مرافق	ألم تأت إساءة غير التي ذكرت ؟

كنت	قطعاً .
كيف اتفق للملك أن يأتي ومعه هذا العدد القليل ؟

بهلول	لو وضعوك في الدهق لهذا السؤال ، لكان عقابك عن حق .

كنت	لم يا بهلول ؟

بهلول	سنرسلك إلى المدرسة عند النملة ، لتعلمك ألاّ شغل في الشتاء [٣٢] . كلّ تابع أنفَهُ تقتاده عيناه سوى الأعمى . وليس بين العشرين أنفاً أنف لا يشمّ من قد نتنت رائحته . إذا رأيت دولاباً كبيراً ينحدر على تل ، أطلق يديك ، وإلا دقّ عنقك إذ تركض في إثره . أما الدولاب الكبير الصاعد ، فليجرّك وراءه . إن يُسْدِك عاقل نصيحة خيراً من نصيحتي ، أعد إليّ نصيحتي . لا أريد أن يعمل بها أحد سوى السّفلة ، لأن مسديها بهلول .
ومن يخدمْكَ غير راجِ

---

(٣١) الاسم اللاتيني الذي كان يطلق على مرض يدعى أيام شكسبير بخنق الرحم . إذ كان يفترض انه ورم يبدأ عند النساء بالرحم ثم ينتشر إلى أن يبلغ الحنجرة . وهو يصيب الرجال أيضاً . ألعله السرطان ؟
(٣٢) تخزن النملة طعامها في الصيف ، والذي يقصده البهلول هو أن لير إذ أدركه شتاء الدهر ، تخلى عنه أتباعه لأنهم لا يستطيعون اختزان أي شيء منه بعد اليوم .

سوى نفعه ، راكضاً
حباً بالمنزلة ،
يهجرْكَ إن تُمطر الدنيا
ويتركْكَ وحدَك في الزوبعة .
لكن بهلولا لن يذهبا ،
وسيلوي ظهرَه كلّ عاقل ،
فالسافل بهلولٌ إذا هربا
وما بهلولُ قط بسافل !

كنت	أين تعلمت ذلك يا بهلول ؟
بهلول	لا في الدهق ، يا بهلول .

(يعود لير ، ومعه غلوستر)

لير	يرفضان الكلام معي ! إنهما مريضان ! إنهما متعبان !
قضيا الليل بطوله في السفر ! خُدَعٌ والله ،
دلائلُ تمردٍ وثورة .
جئني بجوابٍ أفضل .
غلوستر	مولاي العزيز ،
إنكم أدرى بطبع الدوق الناري .
وكيف لا يتزحزح ولا ينثني
عن النهج الذي يرتأيه .
لير	نقمة ! طاعون ! موت ! فوضى !
ناريّ ؟ أي طبع هذا ؟ غلوستر ، غلوستر ،
أريد أن أكلمَ دوق كورنوول وزوجته .
غلوستر	مولاي الكريم ، لقد أخبرتهما بذلك .
لير	أخبرتهما ! أتفهمني ، يا رجل ؟
غلوستر	أجل يا مولاي .

لير إن الملك يريد مخاطبة كورنوول ، والأب العزيز
يريد مخاطبة إبنته . إنه يأمر بالخدمة ويُسديها :
هل أعلما بذلك ؟ روحي ودمي !
ناريّ ! الدوق الناري ؟ قل للدوق الملتهب —
لا ، لا ، بعد . لعل به وعكةً ،
والمريض دوماً يُهمل كل واجب
تفرضه عليه العافية . وما نحن بأنفسنا
حين تُرْهَقُ الطبيعة فتأمر العقل
بالمعاناة مع الجسد . سأمْسك .
وإني لأسخط على إرادتي الهوجاء ،
إذ أحسب المتوعك المريض
وكأنه الرجل المعافى . ألا موتاً لحلالتي ! (ناظراً إلى كنت)
ما الذي أقعده هنا ؟ هذه الفعلة تقنعني
ان هذا الإعتكاف منها ومن الدوق
خديعة ليس الا . جئني بخادمي .
إذهب وقل للدوق وزوجته أريد الحديث اليهما ،
الآن فوراً . مُرْهُما بالمجيء ليسمعاني ،
وإلاّ لاقرعنّ الطبل بباب حجرتهما
فيصرخَ موتا لكل نوم !

غلوستر أرجو الخير بينكما . (يخرج)

لير ويحك أيها القلب الوارم ! إنخفض ، انخفض !

بهلول صح به ، عماه ، كالطاهية إذ صاحت بأسماك الأنقليس حين وضعتها حيّة في الدهن . ضربتها على يوافيخها بالعصا وصاحت : « إنخفضي يا عديمات الحياء ، إنخفضي ! » كان أخوها ذاك الذي رفقاً بحصانه خلط

له الزبد بالعلف[٣٣]

(يعود غلوستر ، مع كورنوول وريغن ، وخدم)

لير أسعدتما صباحاً كلاكما .

كورنوول أهلا وسهلا بجلالتكم !

(يطلق كنت من الدهق)

ريغن مسرورة أنا برؤيتك يا أبي .

لير ريغن ، أظنك كذلك . وإني لأعرف السبب
الذي يجعلني أظن ذلك : إن لم تكوني مسرورة
طلّقتُني من قبر أمّك
قائلا انه ضريح زانية . (لكنت) آ ! هل أفرج عنك ؟
سنتحدث عن ذلك فيما بعد . (يخرج كنت) حبيبتي ريغن ،
أختك صِفْر : آه يا ريغن ، لقد ربطَتْ
عقوقاً ماضي القواطع ، كالصقر ، هنا . (مشيراً إلى قلبه)
أكاد أعجز عن الكلام اليك : لن تصدقي
خسّة أسلوبها ، في — آه ريغن !

ريغن أرجوك يا سيدي ، أن تتجمل بالصبر . إني لآمل
انك تبخس حقيقة قدرها
لا أنها قصّرت في واجبها .

لير قولي ، كيف ؟

ريغن لا أستطيع الظن بأن أختي
تتقاعس قط فيما يترتب عليها . فإذا كانت
ربما قد كبحت عربدات تابعيك
فإن لها من العذر وسلامة الغاية

---

(٣٣) كان من أساليب السائس الماكر ، أن يخلط الدهن بالعلف للحصان الذي بعهدته ، فيعرض الحصان عن الأكل ، ويسرق السائس العلف . أما صاحبنا هنا فقد فعل ذلك عن سذاجة .

ما يعفيها من كل لوم .

لير — إني لألعنها !

ريغن — سيدي ! لقد شخت .
والطبيعة فيك قد وقفت على الحافة
من حدها : فلا بد لك أن تنصاع
لعقل يقدّر حالتك
خيراً منك أنت . ولذا ، أرجوك
أن تعود إلى أختنا
وتقول لها انك قد ظلمتها .

لير — أأطلب غفرانها ؟
أترين كيف يليق ذاك ببيتنا ؟
« إبنتي العزيزة ، إني أعترف بأنني قد شخت ،
ولا ضرورة للشيخوخة . على ركبتيّ أتوسل اليك (يركع)
أن تمنحيني كساء وفراشاً وطعاماً . »

ريغن — كفى ، كفى يا سيدي . هذه ألاعيب قبيحة .
عد إلى أختي .

لير — (ناهضاً) أبداً ، يا ريغن .
لقد جردتني من نصف حاشيتي .
حدجتني بنظرة سوداء . لدغتني بلسانها
كالأفعى ، في السويداء من قلبي .
لتنزل نقمات السماء المخزونة كلّها
على هامتها الجاحدة ! إضربي عظامها ،
أيتها الرياح الجائحة ، وأعرجيها !

كورنوول — عيب ، سيدي ، عيب !

لير — يا بروقاً حثيثة ، أطلقي لهبك المعمية

في عينيها الهازئتين ! اعْدي جمالها
يا ضبابات الأواسن التي امتصتها الشمس القادرة
لتسقطها عليها وتقرّحها !

ريغن يا للآلهة المكرّمة ! هكذا ستدعو عليّ
إذا ما الطيش تملّكك !

لير لا يا ريغن . أنت لن تنالي اللعنة مني أبداً :
طبعكِ الرقيقُ الهيكلِ هذا لن يسلّمك
لقسوة أو جفاء . عيناها ضاريتان ، وعيناك
تواسيان ولا تحرقان . ليس من شيمتك
أن تحصي عليّ لذائذي ، وتختصري حاشيتي ،
وتبادليني عجول الألفاظ ، وتقلصي مخصصاتي ،
وتدفعي في النهاية بالرتاج
صداً لدخولي . أنت أعلم منها
بمقتضيات الطبيعة ، وروابط البنوة ،
ومظاهر المجاملة ، وواجبات عرفان الجميل .
أنت لم تنسي نصيبك من المملكة ،
وقد ملّكتُك نصفَها .

ريغن الموضوع ، رجاءً ، يا سيدي .

لير من وضع رسولي في الدهق ؟ (صوت أبواق من الداخل)

كورنوول ما هذا النفير ؟

ريغن أعرفه . إنه نفير أختي . وهو يثبت فحوى كتابها
من أنها ستكون هنا عما قريب .

(يدخل ازوالد)

هل وصلت سيدتك ؟

لير هذا عبد ، يستمد كبرياءه المستعارة هيّنا

من رضاها المتقلب ، تلك التي يتبعها .
أغرب عن وجهي ، يا لئيم !

كورنوول ماذا تقصدون جلالتكم ؟

لير من الذي وضع خادمي في الدهق ؟ ريغن ، أرجو
انك لم تعرفي بذلك . من القادم ؟

(تدخل غونريل)

أيتها الآلهة ،
إن كنت تحبين من طعنت السنّ بهم ، إنْ يستحسنِ الطاعةَ
حكمُك العذبُ وكنت طاعنةً في السن مثلي ،
إجعلي شأنك شأني ، وانزلي وادفعي عني !
(لغونريل) ألا تخجلين من النظر إلى هذه اللحية ؟
آه يا ريغن ! أتصافحينها ؟

غونريل ولم لا أصافحها يا سيدي ؟ ما الذي أسأتُ به ؟
وهل اساءة كل ما عدّه الطيش
والخرَف اساءة ؟

لير أيا جنبيّ ، ما أصلَبكما !
اما تنفجران ؟ كيف صار رسولي في الدهق ؟

كورنوول انا وضعته فيه ياسيدي . ولكن شغبه
كان يستحق تكريماً أقل من ذاك بكثير .

لير أنت ؟ انت وضعته ؟

ريغن أرجوك أبي ، إنك ضعيف ، أبقِ على مظهر الضعيف .
إذا عدت للاقامة مع أختي
إلى أن ينقضي شهرك ،
صارفاً عنك نصف حاشيتك ، تعال عندئذ إليّ .
لست في بيتي الآن ، وما لدي من المؤونة

ما تقتضيه استضافتك .

لير — أعود اليها ؟ وخمسون من رجالي قد صرفوا ؟
لا ! لَخَيرٌ لي ان اتخلى عن كل سقف ،
واقارع عداوة اجواء الفضاء ،
فأكون رفيق الذئب والبوم
وقرص الحاجة الوجيع ! أعود اليها !
هناك ملك فرنسا الفائر الدم ، ذاك الذي
أخذ صُغرى بناتي دون صداق ، لَخيرٌ لي أن أدفع
إلى الركوع عند عرشه لألتمس ، كالفارس ، تقاعداً
يُبقي الرمق على حاله . أعود اليها !
لا بل أقنعيني بأن أصبح رقيقاً ومكارياً
لهذا السائس المقيت .

غونريل — كما تشاء يا سيدي .

لير — أرجوك ، يا ابنتي ، لا تجعليني أجنّ .
لن أزعجك يا طفلتي . وداعاً .
لن نلتقي بعد اليوم ، لن أراك ولن تريني .
ولكنك ما زلت لحمي ودمي ، يا ابنتي ،
بل علّةٌ في لحمي
لا أملك نكراناً لها : أنت دمّلة ،
قرحة طاعون ، ورم ناتىء ،
في دمي الملوّث . ولكن لن أوبخك ،
وليحلّ العارُ ساعةَ يشاء ، لن استدعيه .
لن أقول لحامل الرعد (٣٤) أن اطلقِ السهام
ولن أشي بك للديّان العليّ جوبيتر .

---

(٣٤) أي جوبيتر ، اله الرعد .

أصلحي من شأنك عندما تقدرين ، وتحسّني
عندماَ يحلو لك أن تتحسني .
بوسعي الصبر . بوسعي البقاء مع ريغن —
أنا وفرساني المئة .

ريغن　　لا كل ما قلت .
لم أكن أتوقعك بعد ، ولا أنا مزوّدة
للترحيب بك كما ينبغي . أعر أذناً لأختي يا سيدي .
فكلّ من يحكّم العقل في ثائرتك
لا بد مقتنع بأنك قد هرمت ، ولذا —
ولكنها تعرف ما هي فاعلة .

لير　　أخيْرٌ ما تقولين ؟

ريغن　　بل اؤكد عليه : ماذا ؟ أما حَسْبُكَ
خمسون تابعاً ؟ وما حاجتك إلى المزيد ؟
بل ، إلى هذا العديد منهم ، ما دام الخطر والمسؤولية
يوصيان ضد هذا العدد الكبير ؟ وهل يتسنى
للعديد من الأناس أي وفاق في بيت واحد
وهم تحت إمرتين اثنتين ؟ صعب ذاك ، أقرب إلى المستحيل .

غونريل　　وما يمنع يا مولاي أن تحظى بعناية
من خدمها أو خدمي ؟

ريغن　　لم لا يا مولاي ؟ حينئذ ، إن قصروا إزاءك ،
استطعنا التحكم بهم . لقد جعلت الآن أرى خطراً —
فإذا رمت المجيء إليّ ، أرجوك
أن تأتي بخمسة وعشرين رجلا فقط ، وما زاد عن ذلك
لن اوليه مكاناً أو عناية .

لير　　أوليتكما كلّ شيء —

ريغن — في الوقت الملائم أوليتنا إياه .

لير — جعلتكما وليّتَيّ أمري وأمينتَيّ أموالي ،
غير انني اشترطت أن يكون لي من الاتباع
عدد كهذا . عجباً ! أعليّ أن آتي إليك
بخمسة وعشرين ؟ ريغن ، أهذا ما قلته ؟

ريغن — وأعيد قوله يا مولاي . لن أقبل بأكثر من ذلك .

لير — ما زال الشرّير يبدو حسن المحيّا
طالما الآخرون هم شرّ منه ، وكون المرء ليس أسوأ الناس
يضعه في منزلة من الحمد . (لغونريل) سأذهب معك .
خمسونك ضعف الخمسة والعشرين ،
ففيك ضعفا حبها .

غونريل — إسمعني يا مولاي :
ما حاجتك بالخمسة والعشرين ، او العشرة ، أو الخمسة ،
يتبعونك في بيت فيه من ذاك العدد ضعفان
مأمورون بخدمتك ؟

ريغن — ما حاجتك بواحد ؟

لير — ويحك ، لاتناقشي الحاجة ! أحطّ شحاذ عندنا
مسرف في أحقر ما لديه :
لو لم يُسمح للطبيعة بأكثر من حاجة الطبيعة ،
لبخسةً كانت حياة الانسان ، كالحيوان . أنت سيدة .
لو كان الدفء فقط هو الترف
لما احتاجت الطبيعة ما ترتدين من ترف
وهو يكاد لا يدفئك . أما الحاجة الحقّة —
هبيني الصبر أيتها السموات ، الصبرُ حاجتي ! —
إنك لتريني هنا ، أيتها الآلهة ، شيخاً مسكيناً

تملؤه الأحزان بقدر ما تملؤه السنون ، شقياً بالاثنتين !
إن كنت أنت التي تثيرين القلب من هاتين الابنتين
على ابيهما ، لا تجعلي مني معتوهاً
يتحمل ذلك صاغراً ! صليني بغضب نبيل ،
ولا تدعي أسلحة النساء ، قطرات الدمع ،
تلطخ مني خدّ الرجل ! لا ، يا شريرتان شاذتان ،
سأنزل انتقاماً بكما كلتيكما
بحيث أن الدنيا سوف — سأفعل أموراً ،
لا أدري بعد ما هي ، ولكنها ستكون
رعب الدنيا كلها . تحسبان أني سأبكي .
لا ، لن ابكي ،
وبي للبكاء كل سبب . (عاصفة تسمع من بعيد)
غير ان هذا القلب
سيتحطم إلى مئة الف شظية
قبل أن أبكي . يا بهلول ! سوف أجنّ !

(يخرج لير ، وغلوستر ، والمرافق ، وبهلول)

كورنوول — لننسحب . ستهب عاصفة .
ريغن — هذا البيت صغير ، لا يتسع لحسن ايواء
الشيخ وجماعته .
كورنوول — هو الملوم . أ... مضجعه بنفسه
فعليه بمذاق حماقته .
ريغن — بالنسبة إلى شخصه ، سأرحب به ،
ولكن دون تابع واحد .
غونريل — وهذا ما قررت أنا .
أين اللورد غلوستر ؟

كورنوول خرج في إثر الشيخ . هذا هو عائداً .

يعود غلوستر

غلوستر الملك في غاية الغضب .

كورنوول أنى يتوجه ؟

غلوستر انه يدعو الخيل ، ولكن لا أدري إلى أين سيذهب .

كورنوول الأفضل أن يُفْسَح له الطريق . فهو مصرّ على ذلك .

غونريل سيدي ، لا تتوسل اليه بالبقاء .

غلوستر وا اسفاه . إن الليل قادم ، والرياح الصرصر
تضج عاتية . يكاد المرء لأميالٍ عديدة حولنا
لا يرى شجيرة واحدة .

ريغن آ ، يا سيدي ، على ذوي العناد
أن يكون الأذى الذي يجرونه على أنفسهم
استاذهم . اغلق ابوابك باحكام .
فبرفقته حاشية مستميتة ،
والحكمة توصي بأن نخشى ما قد يستحثونه عليه ،
وهو ينزع إلى ان تُخدع اذناه .

كورنوول اغلق ابوابك باحكام ، يا مولاي . إنها ليلة هوجاء .
عزيزتي ريغن تحسن النصح . ولنخرج من العاصفة .

(يخرجون)

الفصل الثالث

المشهد الأول	عاصفة يتخللها رعد وبرق . يدخل كنت ومرافق فيلتقيان .

كنت   من هناك ، ما عدا الطقس اللعين ؟
مرافق   رجل نفسه كالطقس ، مزعزعة .
كنت   أعرفك . أين الملك ؟
مرافق   يصارع العناصر المحتدمة ،
يأمر الريح بقذف الأرض في البحر ،
أو برفع العباب ليطمي على البر بموجهِ
عسى الأمور أن تتبدل أو تكف ، يمزّق شعره الأبيض ،
وإذا العصفات الهوج في سخطها الأعشى
تمسكه بعنفها وتبدده .
انه يكافح في عالم انسانه الأصغر (٣٥) ليبزّ عصفاً
صراع الريح والمطر .
في هذا الليل الذي تقبع فيه الدبة المرضعة
والأسدُ يتقي لُبْدَتَهُ البلل ،
وكذا الذئب وان يقرُصْ بطنَه الطوى ،
راح حاسر الرأس يتراكض

(٣٥) العالم الأصغر (مايكروكوزم) يمثل الدنيا إزاء العالم الأكبر (مكروكوزم) وهو الكون . وكثيراً ما تطلق عبارة « العالم الأصغر » على الإنسان أيضاً .

ويصيح : فلأخسر كل شيء !

كنت ولكن ، من يصحبه ؟

مرافق لا أحد سوى البهلول الذي يسعى بنكاته أن يلطّف من جراح قلبه الملدوغ .

كنت سيدي ، إني أعرفك ،
ولن أخشى بعدما رأيت منك
أن أأتمنك على أمر مهم . ثمة شقاق ،
رغم تغطية وجهه حتى الآن
بدهاء من الطرفين ، بين ألبني وكورنوول .
فعند كليهما — وهذا شأن كل من أعلاه
حسن طالعه وأجلسه العرش — خدم ، يبدون كالخدم
ولكنهم جواسيس وأرصاد لفرنسا
يخبرونه عن حالتنا . وكل ما شوهد مؤخراً
من خصام ودسائس من الدوقين ،
وما فرضاه كلاهما من كبح عتيّ
على الملك الكريم الهرم ، أو ما هو أعمق بعد ،
ربما يتبدّى بهذه الأعذار —
مهما يكن ، فإن الحقيقة هي ان جيشاً قد جاء من فرنسا
إلى هذه المملكة الموزّعة ، وإذ أدرك
إهمالنا ، حط الرحال سراً
في بعض من أفضل موانئنا ، وتهيأ الآن
للكشف عن راياته المرفوعة . والآن ، بشأنك :
إن كنت لا تخشى أن تعتمد الثقة بي
فتسرع إلى دوفر ، ستجد
من يشكر لك إبلاغك إياه بدقة
كيف ان للملك أسبابه للشكوى

من حزن يخرج به عن طور الطبيعة ويودي بعقله .
إني سيدٌ وسليل محتد ،
وما أكلفك بهذه المهمة إلاّ
عن معرفة وثقة بالأمور .

مرافق   أريد المزيد من الحديث معك .

كنت   لا ، أرجوك .
وتأكيداً لكوني أكثر بكثير
من مظهري ، إفتح هذا الكيس وخذ
ما فيه . وإذا رأيت كورديليا —
ولسوف تراها ، لا ريب — أرِها هذا الخاتم ،
تخبرك من هو هذا الرجل
الذي لا تعرفه حتى الآن . ألا تبّاً لهذه العاصفة !
سأذهب وأبحث عن الملك .

مرافق   أعطني يدك . أما من شيء آخر تقوله ؟

كنت   كلمات قليلة ولكنها أكثر أهمية من كل ما قلت :
وهي ، عندما نعثر على الملك — ولذا خذ أنت
ذاك الطريق ، وآخذ أنا هذا — من يبصره أولا
فليصح للآخر .

(يخرجان من طرفين متقابلين)

المشهد الثاني

مكان آخر من الفلاة . العاصفة مستمرة . يدخل لير والبهلول

لير   ازفري يا رياح ، وشققي خدّيك [٣٦] ! ثوري واعصفي !
وأنت يا شآبيب ودوافق انهمري

---

(٣٦) الصورة الشكسبيرية هنا تمثل « نفخاً » شديداً من الفم يرهق الخدين حتى «» يشققهما » .

حتّى تنقعي قبابنا وتغرقي الشواهق من بيوتنا !
ويا نيران كبريت كالفكر سارية ،
يا طلائعَ صواعق تشق السنديان ،
احرقي هامتي الشيباء هذه ! واقصفي يا رعوداً مزمزمة
واسطحي كرويّة الدنيا الكثيفة !
حطّمي قوالب الطبيعة واسكبي هباء كل بذرة
تصنع الانسان العقوق !

بهلول عماه ، إن ماء نفاق [٣٧] البلاط في بيت لم يعرف البلل لخير من مياه المطر هذه في العراء . بربك ، عماه ، أدخل ، أطلب البركة من بناتك . هذه ليلة لا ترحم العقلاء ولا البهاليل .

لير قرقري ملء بطنك يا رياح ! ابصقي يا نار ، وادفقي يا مطر !
فما المطر ولا الريح ولا الرعد ولا النار بناتي :
لن أتّهمك بالقسوة يا عناصر ،
ما أعطيتك قط مملكة ، ولا دعوتك بأولادي ،
وما أنت مدينة لي بوفاء . فلتتساقط إذن
لذاتك الرهيبة . إني أقف هنا ، عبداً لك ،
شيخاً مسكيناً ، عليلا ، واهناً ، مزدرى .
ورغم ذاك فإني أقول إنك صنائع ذليلات
ترضين بأن تجعلي بأمرة ابنتين خبيثتين
جحافلَك المولودةَ في العُلى ضد رأسٍ
أشيَبَ هرمٍ كرأسي . يا للحقارة !

بهلول من له بيت يضع فيه رأسه فإن له رأسيّة طيبة .
من يبيّتْ عورته
وما للرأس منه أي بيت

(٣٧) في الأصل ماء البلاط المقدس ، كناية عن النفاق المتداول بين رجال القصر .

جنى قملا إثر قمل —
فكلّ ذي شحذة مزواج .
ومن يولِ همّهُ أخمُصَهُ
بدلاً من قلبه ، وهو الأهمّ ،
يَصِحْ ويلاه من قدم
ويقضْ مضجعَهُ الألمْ . (٣٨)
فما من امرأة حسناء إلا وتجرب لها الف وجه في المرآة .

(يدخل كنت)

لير — لا ، سأكون نموذج الصبر الجميل .
لن أقول شيئاً .

كنت — من هناك ؟

بهلول — هنا جلالةٌ وكساءُ عورة ، أي عاقل وبهلول .

كنت — لهفي عليك يا سيدي ، أأنت هنا ؟ حتى عشّاق الليل
لا يحبون ليالي كهذه . إن الأجواء المغضبة
لتُرهبُ حتى ساريات الظلام
وتجعلُها تُقعي في جحورها . منذ شبابي
لا أذكر أني قط سمعت أو رأيت
سُجُفاً من نار كهذه ، قصفَ رعدٍ رهيب كهذا ،
ولولاتٍ كهذه من أمطار وريح هادرة .
طبيعة الإنسان لا تقوى على
هذا الرعب والبلاء .

لير — فلتذهب الآلهة العظيمة

---

(٣٨) يريد أن يقول أن الذي يرضي شهواته الجنسية قبل أن يكون له بيت يسكنه ، سينتهي إلى الزواج من امرأة يضيف قملها إلى قمله . (ويبدو ان المتسولين في عصر شكسبير كانت لهم دائماً نسوة كثار ، على الأغلب من المومسات) . ومن يهتم بجزء غير مهم من جسمه ويهمل ما يجب الاهتمام به ، سيقاسي عواقب اليمة من ذلك الجزء الذي تعلق به عن غير حكمة .

إذ تجلجل هذا الخوف فوق رؤوسنا
وتبحث عن أعدائها الآن . ارتجف أيها التعس الذي
بين جنبيك جرائم أخفيتَها .
ولم تجلدْك يدُ العدالة . إختبئي أيتها اليد السفّاحة
وأنتَ يا من حنثتَ باليمين ، وأنت الذي تقنّعت بالفضيلة
وشيمتُك الزنى بالمحارم . يا بائسُ ارتعش وتهافت
أنت الذي من وراء حجاب ورياء مواثم
تآمرت على حياة إنسان . أيها الذنوب المتراصة الخبيثة ،
شقي عنك سرابيلك الخافية ، واطلبي الرحمة
من هؤلاء الداعيات إلى الدينونة الراعبة . أما أنا
فمجنيٌ عليّ أكثر منّي جانياً .

كنت — لهفي عليك ! حاسر الرأس !
سيدي الكريم ، على مقربة منا كوخ
سيهيىء لك بعض حماية من العاصفة .
إسترح فيه ريثما أعود إلى هذا المنزل القاسي —
بل الأقسى من حجارة بُني منها ،
حيث سألت عنك قبل لحظات
فمنعوني عن الدخول — لأبتزّ منهم
مكرمة شحيحة .

ير — أخذ عقلي يضطرب .
هيا يا ولدي . كيف حالك ، يا ولدي . أبردان أنت ؟
أنا أيضاً بردان . أين هذا القش ، يا غلام ؟
فن ضروراتنا فن غريب ،
يحوّل الرخيص إلى نفيس . هيّا إلى كوخك .
بهلول يا مسكين ، في قلبي شقّ

ما زال يأسي عليك .

بهلول من له عقلٌ قليلٌ ،
يا ريحُ هبّا ، ثم هبّا يا مطرْ ،
فليرضَ بما ناله
وإن تُمطرْ كلَّ يوم يا مطر ...

لير أصبتَ يا فتى . هيا خذنا إلى الكوخ .

(يخرج لير وكنت)

بهلول هذه ليلة رائعة لتبريد أحرّ مومس (٣٩)
سأنطق بنبوءة قبل أن أذهب .
إذا امتلأ الكاهن لفظاً دون معنى ،
وغش الخمّار الخمر بالماء ،
إذا أضحى النبيل معلّماً لخياطه (٤٠)
وسَلِمَ الزنديق من نار عقبى دون طلاّب النساء ،
إذا كانت كل دعوى في الشريعة صائبة ،
وما من سيّد مدان ، أوفارس بالفقر يوماً مبتلَى ،
اذا الغيبةُ هجرت كل لسان
وأحجم النشالون عن الجموع ،
إذا راح المرابون يحسبون الذهب في العراء ،
وراح القوّادون والبغايا يبتنون الكنائس ،
عندها يحلّ في بلاد ألبيون
شغب كبير وفوضى .
عندها يأتي زمان ، من عاش رآه ،

(٣٩) أقوال البهلول التالية ، على الأرجح مقحمة على النص الشكسبيري . وهي إجمالا في شقين ، الأول يصف الحالة كما هي ، وينتهي عند « طلاب النساء » ، والثاني يتوقع حالة طوباوية . وينتهي البهلول كالعادة ، إلى العبث المر .

(٤٠) لمشقه المظهر الكاذب .

يصبح السير فيه على الأقدام .
هذه النبوءة سيأتي بها « مرلين »[41] ، لأني أعيش الآن قبل زمانه .
(يخرج)

المشهد الثالث

غرفة في قلعة غلوستر . يدخل غلوستر وادموند ، كلاهما يحمل مشعلا

غلوستر: وا أسفاه ، وا أسفاه ! ادموند ، هذه المعاملة الشاذة لا تروق لي . عندما استأذنتهما لأرأف به ، جرّداني من استعمال منزلي ، وأمراني ، مُهَدَّداً بسخطهما الدائم ، بألا أتحدث إليه ، أو أترجّاه ، أو أعنى به كيفما كان .

ادموند: يا للوحشية والشذوذ !

غلوستر: لا عليك . لا تقل شيئاً . بين الدوقات انقسام ، بل ما هو أسوأ . جاءتني هذه الليلة رسالة ، من الخطر إفضاء ما فيها . وقد أقفلت عليها خزانتي . هذه الإساءات التي يتحملها الملك ، سينتقم لها كلها . وهناك بعضٌ من جيش قد نزل ببرّنا ، وعلينا بالجنوح إلى الملك . سأبحث عنه وأعينه سراً . فاذهب أنت واشغل الدوق بالكلام لئلا يلحظ ما أنا بصدده من عمل صالح . وإذا سأل عني ، فبي وعكة وقد آويت إلى الفراش . يجب أن أعين الملك ، سيدي القديم ، حتى وإن متّ في سبيل ذلك ، وأنا لم أهدّد بأقلّ من الموت . ثمة أمور غريبة وشيكة ، يا ادموند . أرجوك خذ الحذر .

(يخرج)

ادموند: هذه المكرمة التي حُظِرَتْ عليك سيعلم الدوق بها
في الحال ، وتلك الرسالة أيضاً .

---

(41) ساحر وعراف في سيرة الملك آرثر (القرن العاشر) وهو بالطبع متأخر عن زمان المسرحية ببضعة قرون

وهذا ما سأجازى عليه ، فيُجعل من نصيبي
ما سوف يفقده أبي ، ولن يقل عن كل شيء .
إذا ما الشيخ وقع ، نهض الفتى مكانه !

(يخرج)

المشهد الرابع الفلاة . أمام كوخ مهدم . يدخل لير ، وكنت ، والبهلول

كنت هذا هو المكان ، يا سيدي . سيدي الكريم ، ادخل .
طغيانُ ليلِ العراءِ أعتى
من أن تتحمله الطبيعة .

(العاصفة مستمرة)

لير دعني وشأني .

كنت سيدي الكريم ، ادخل هنا .

لير أتريد تحطيم قلبي ؟

كنت ليتني أحطم قلبي أنا . سيدي الكريم ، ادخل .

لير أنت تحسب هذه العاصفة النكباء تُغالي
إذ هي تغزونا حتى البشرة . إنها تغالي معك .
ولكن حيثما العلّةُ الكبرى استقرت ،
تكاد الصغرى لا تُحسّ . لَكُنْتَ تتجنب دبّاً ،
ولكن لو كان هروبك في اتجاه البحر المزمجر
لقابلتَ الدبّ فماً لفم . إذا كان الذهن خالياً ،
كان الجسم رقيقاً . هذه العاصفة في صدري
تنتزع من حواسي كل شعور سوى
ما يعصف فيه — عقوق الأبناء !

أما تراه كأنْ يمزّقَ هذا الفمُ هذه اليد
لرفعها الطعام اليه ؟ ولكن سأشتد في العقاب .
لا ، لن أبكي بعد . أأطرد
في ليلة كهذه ؟ تدفقي ! سأحتمل . .
أفي ليلة كهذه ؟ آه يا ريغن ، يا غونريل !
ابوكما الشيخ الحاني ، هذا الذي أعطاكما قلبه الوضاح كل شيء —
آه ! ذاك سبيلٌ إلى الجنون يؤدّي ! فلأتجنّبْه .
حسبي منه .

كنت سيدي الكريم ، ادخل هنا .

لير أرجوك ، ادخل أنت . اطلب راحتك .
هذه الزوبعة تمنع عني التأمل
في أمور هي أشد أذى لي . ولكن سأدخل .
(الى البهلول) ادخل ، يا غلام . ادخل قبلنا . يا فقراً
بلا مأوى —
لا ، هلّم ادخل . سأصلي ، ومن ثم أنام .

(يدخل البهلول الكوخ)

أيها التُعَساءُ العراةُ المعدمون ، أينما كنتم ،
وأنتم تحتملون ضربات هذي العاصفة التي لا ترحم ،
أنّى لرؤوسكم بلا مأوى وجوانبكم بلا طعام ،
وشعثكم مثقّب مخرّق ، أن تَقيكم
هولَ مواسم كهذه ؟ آه ما أقلَّ ما عُنيتُ
بهذا ! إجرعي الدواء يا أبهة .
نفسُكِ عرّضيها لتُحسّي ما يحسّه التعساء
لعلك تنفضين كل فيض عنك لهم
فتبدو السماوات أكثر عدلا وقسطاساً .

ادغار (من الداخل) قامة ونصف، قامة ونصف! توما المسكين!

(يخرج البهلول راكضاً من الكوخ)

بهلول لا تدخل هنا، عماه. هنا جنيّ.
النجدة، النجدة!

كنت أعطني يدك. من هناك؟

بهلول جني، جني. يقول اسمه توما المسكين.

كنت من أنت الذي رحت تدمدم في القش هناك؟ هلم أخرج!

يدخل ادغار متنكراً كمجنون

ادغار إبتعدوا! إبليس اللعين يلاحقني! من بين أشواك الزعرور تهب الرياح.
همه! إذهب إلى فراشك لتدفأ.

لير هل أعطيت كل شيء لبناتك؟
وانتهيت إلى هذا؟

ادغار من يعطي شيئاً لتوما المسكين؟ هذا الذي اقتاده ابليس اللعين خلال النار واللهيب، والدوامة والغدير، والمستنقع والطين، على شرفته علّق الحبالَ وتحت وسادته وضع السكين، دَسَّ سُم الجرذان في حسائه، وملأ صدره بالغرور ليُخِبَّ بفرس كُمَيْت على جسر من أربع أصابع، مطارداً خياله لظنه أنه خائنه! إنعم بقدراتك الخمس! توما بردان. آ، دو دى، دو دى، دو دى. وقاك الله شر الاعصار، والعدوى، ونحس النجوم! أحسن إلى توما المسكين الذي يضايقه ابليس اللعين. هذا هو! سأمسك به! هنا، هناك، هناك، هنا.

(العاصفة مستمرة)

لير عجباً. هل دفعته بناته إلى هذه الحال؟
ألم تستطع أن تبقي على شيء لنفسك؟ هل أعطيتهنّ كل شيء؟

بهلول لا، لقد احتفظ بدثار، وإلا لأحرجنا جميعاً.

لير يا طواعين عُلّقَتْ بالفضاء محتومةً
على آثام البشر، ألا فانزلي ببناته!

كنت لا بنات له يا سيدي .

لير الموت يا خائن ! لا شيء بوسعه أن يحط الطبيعة
إلى حضيض كهذا إلاّ بناته الجاحدات .
هل الطرز اليوم ان الآباء حين يُلقى بهم
لا تبقى ثمة رأفة بأجسادهم ، كهذا ؟
عقاب عادل ! هذا هو الجسد الذي استولد
بنات البَجع (٤٢) اولئك .

ادغار على تَلّ بُجَيْع بُجَيْعٌ قَعَدْ ،
ترلّلا ، ترلّلي !

بهلول هذه الليلة الباردة ستحيلنا جميعاً إلى بهاليل ومجاذيب .

ادغار إحذر ابليس اللعين . أطع والديك . إرعَ الذمة في كلامك . لا تحلف . لا تفحش بحليلة غيرك . لا تتعلّق بفواخر الثياب . توما بردان .

لير ماذا كنت ؟

ادغار نديماً ، صلف القلب والعقل ، أجعّد شعري وألبس القفازات في قبعتي ، أحقق الشبق في قلب خليلتي ، وأفعل معها فعلة الظلام . كنت أقسم أيماناً بقدر ما أنطق من كلمات ، وأحنث بكل يمين أقسمتها في وجه السماء الحلو . كنت أنام وأنا اختطّ الفحشاء واستيقظ لتنفيذها . الخمر عشقتها ، والنرد كُلفت به ، ومن النساء اتخذت عشيقات أكثر من السلطان نفسه : خائن القلب ، دموي اليد ، سريع الأذن إلى النميمة . في الكسل خنزير ، وفي التسلّل ثعلب ، وفي الجشع ذئب ، وفي الجنون كلب ، وعلى الفريسة أسد . إياك أن تسلّم قلبك لامرأة لزقزقة في حذائها أو حفيف في حريرها : لا تُدخل رِجْلَك في مبغى ، أو يدك في شقّ فستان ، أو قلمك في دفاتر الدائنين ، وقارع ابليس اللعين . ما زالت

(٤٢) من المعتقدات القديمة أن البجعة ، إذا رأت أن صغارها ستموت ، تضرب خاصرتها فيسيل دمها لتسقيه صغارها فتنتعش وتحيا . أما لير فيوحي أن صغار البجع تضرب والديها وتمتص حياتهما.

الريح الباردة في عصفها من خلال الزعرور ، وهي تقول سوم ، مون ، ترللي ... دوفان الشيطان يا ولد ، يا ولد ، يلاّ ! دعه يمر .

(العاصفة مستمرة)

لير خيرٌ لك أن تكون في القبر من أن تتحمل قسوة السموات بجسدك المعرى. أهذا هو الإنسان كله ؟ تأمله جيداً . لستَ مديناً للدودة بحرير ، للثور بجلد ، للخروف بصوف ، للقطّ بعطر . ها ! نحن الثلاثة هنا ملفّقون . وأنت ، أنت الشيء الحقيقي . فما الإنسان بلا رياش إلا هذا الحيوان المشطور الأجرد المسكين الذي هو أنت . عنّي ، عني أيتها الاستعارات ! تعال ، فك أزراري هذه .

(يمزق ثيابه عن نفسه)

بهلول أرجوك ، عماه ، اقنع . فما الليلة الليلاء هذه للسباحة . لكانت النار الصغيرة الآن في الفلاة كالقلب من خليع عجوز : شرارةٌ ضئيلة ، وبقية جسده باردة . انظروا ! هذه نار ماشية قادمة .

(يدخل غلوستر ومعه مشعل)

ادغار هذا « فليبرتيجيبت » اللعين [٤٣] : يبدأ عند التعتيم ، ويسري حتى أول صياح الديك . يُنزل الماء الأزرق على العيون ، ويُحْوِلُها ، ويَشْرُم الشفاه . يُعفِن القمح قبيل نضجه ، ويؤذي مخلوقات التراب المسكينة .

« ويذولدُ » قد سار ثلاثاً
في الهضاب ،
رأى السّعلاة وتسعَ بناتها
على خيلها في الغاب
قال لها إنْ تَحلّي
ترجّلي وتعهدي !

---

(٤٣) اسم أحد الشياطين في حكايات القرون الوسطى وعصر النهضة .

إذن ولّي ، أيا سِعلاةُ ولّي ! (٤٤)

كنت   كيف حالك ، مولاي ؟

لير   من هذا ؟

كنت   من هناك ؟ ما الذي تريد ؟

غلوستر   من أنتم ، هناك ؟ أسماؤكم ؟

ادغار   توما المسكين ، هذا الذي يأكل ضفدع العَوْم وضفدع الطين ، ويأكل الدّعموصَ وسَحْليّةَ البرّ والماء ، وكلما هاج قلبُه ، إذا استشاط ابليس اللعين ، أكل بدل النَّقْل روثَ البقر . يزدرد الجرذان وكلاب الخنادق ، ويشرب الكساء الأخضر من على البرك الآسنة . يجلدونه من حي إلى حي (٤٥) ، ويعاقبونه بالدّهَق والسجن ، له ثلاث بدلات لظهره وستة قمصان لجسمه .

جوادٌ يمتطيه
وسلاح يقتنيه
ولكن الفئران والجرذان
وغيرها من صغار الحيوان
كانت القوت لتوما
سبعة أعوام طوال . (٤٦)

إحذر عفريتي ! يا اسْمَلْكِنُ ، صه ! يا شيطان ، إخرس !

غلوستر   عجباً ! أليس لجلالتكم من صحب أفضل من هذا ؟

ادغار   أمير الظلام سيدٌ مقدام ، يدعى مودو ، وماهو .

غلوستر   لقد خَبُثَ ما نَلِدُ من لحمٍ ودمٍ يا مولاي

---

(٤٤) هذه تعويذة ضد السعلاة ، تروي كيف أن القديس ويذ ولد قابل السعلاة وأفراخها التسع وقهرها كلها . وفي رواية ذلك « قوة سحرية » لمقاومة سلطانها . وقد جعلنا « السعلاة » هنا تقابل « الكابوس » أو « انكيبوس » التي في الأصل .

(٤٥) كان المتشرد يجلد ويرسل من حي إلى حي إلى أن يبلغ محلته .

(٤٦) مأخوذة من إحدى الحكايات الشعرية الشعبية .

فبات يمقت حتّى والده .

ادغار — توما المسكين بربربردان .

غلوستر — تعال معي . لن يسمح لي واجبي
بالطاعة في كل أمر عاتٍ من ابنتيك .
رغماً عن أنهما أمرتا بغلقَ أبوابي دونك
لتستبد بك هذه الليلة الطاغية ،
فقد جازفت بالمجيء بحثاً عنك
لآخذك إلى حيث تجد النار والطعام .

لير — دعني أولا أتحدث إلى هذا الفيلسوف .
ما سبب الرعد ؟

كنت — مولاي الكريم ، إقبل بما عرض . إذهب إلى بيته .

لير — أريد كلمة مع هذا العالم الطيبي .
ما اختصاصك ؟

ادغار — صدّ ابليس وقتل الجراثيم .

لير — فلأسألك كلمة على حدة .

كنت — ألحَّ عليه بالذهاب يا سيدي .
أخذ عقله يتزعزع .

غلوستر — وهل تلومه ؟

(العاصفة مستمرة)

إبنتاه تريدان موته . عفا الله عن كنت !
لقد تنبأ بذلك ، والمسكين الآن منفيّ .
تقول إن الملك أخذ يُجَن . فلأقل لك يا صاح ،
أكاد أجن أنا أيضاً . كان لي ولد
برّأت دمي منه ، أراد حياتي ،
منذ مدة وجيزة جداً . وأنا الذي أحببته يا صاح

كما لم يحب أب ولده . ولا أكتمك
أن الحزن قد أودى بعقلي . يا لها من ليلة !
أتوسل إلى جلالتكم —

لير المعذرة ، يا سيد .
أيها الفيلسوف النبيل ، امكث معي .

ادغار توما بربردان .

غلوستر أدخل يا غلام إلى الكوخ . أطلب الدفء .

لير هلموا ، لندخل جميعاً .

كنت من هنا يا مولاي .

لير برفقته .
أريد البقاء دوماً مع صاحبي الفيلسوف .

كنت سيدي الكريم ، دارِهِ ، ليصطحب الفتى معه .

غلوستر جيء به أنت .

كنت يا غلام ، هيّا معنا .

لير تفضل ، أيها الأثينيّ الصالح .

غلوستر صمتاً ، صمتاً ! هس !

ادغار رولانُ فتى الفرسانِ جاءْ
إلى القلعة السمراء
وهو يردد : فاي ، فو ، فم ،
إني أشتمّ
رائحةَ إنكليزيّ في اختباء . (٤٧)

(يخرجون)

---

(٤٧) هنا مزج مقصودٌ بين قصة الفارس رولان الذي أراد أن ينقذ أخته من « عملاق البحر » وقصة « جاك قاتل العملاق » . وفي القصتين يختبىء البطل ، ويبحث عنه العملاق وهو يردد انه يشتم رائحته .

كورنوول سأنتقم قبل أن أغادر هذا المنزل .

ادموند أكاد أفزع من التفكير ، يا سيدي ، فيما سألقاه من لوم من أن الطبيعة (٤٨) تنهزم هكذا إزاء الوفاء .

كورنوول لقد أدركت الآن أن أخاك لم يطلب موته لمجرد ما في نفسه من شر ، بل إن استحقاقاً مستَفزِّاً أعمل ما فيه من سَوْءَةٍ مَعيبة . (٤٩)

ادموند ما أنكد حظي ، وعليّ أن أندم على عدالتي ! هذه هي الرسالة التي تحدث عنها ، وهي البرهان على انه يتجسس لمساعدة فرنسا . رباه ، ليت هذه الخيانة ما كانت ، ولا كنت أنا فاضحها !

كورنوول هيا معي إلى الدوقة .

ادموند إن يكن مضمون هذه الرسالة مؤكداً ، فإن عليك مهمة هائلة .

كورنوول صدقت الرسالة أم كذبت ، فقد جعلتك « ايرل اوف غلوستر » . إبحث عن مكان أبيك ليكون مهيأً لاعتقاله .

ادموند (جانبياً) إذا وجدته يواسي الملك، فإن ذلك يضيف المزيد إلى الشبهة فيه . (غالياً) لسوف أمضي في طريق وفائي ،وإن يؤلمني الصراع بينه وبين دمي .

كورنوول سأجعل ثقتي فيك ، ولسوف تجد في حبي لك أباً أعزّ من أبيك .

(يخرجان)

---

(٤٨) أي مشاعره الطبيعية كابن لأبيه .
(٤٩) أي أن السوءة المعيبة في ادغار استفزها الأب ، غلوستر ، ليذيقه ادغار حتفه عن استحقاق .

غلوستر هذا أفضل من العراء . خذه شاكراً . وسأضيف إلى وسائل الراحة ما أستطيع . لن أغيب عنك طويلا .

كنت نفد صبره فانهارت قوى رشده . جازتك الآلهة خيراً على لطفك !

(يخرج غلوستر)

يدخل لير ، وادغار ، والبهلول

ادغار فرايترّيتو يدعوني ويقول إن نيرون يصيد السمك في « بحيرة الظلام » . عليك بالبراءة ، أرجوك ، واحذر ابليس اللعين .

بهلول رجاءً عمّاه ، أخبرني ، هل المجنون من السادة أم العوام ؟

لير ملك ، ملك !

بهلول لا ، إنه من العوام ولكن ابنه من السادة . لأن المجنون وحده يرى ابنه سيداً قبله .

لير سأجعل ألفاً بسفافيدهم الحمراء اللاهبة
يهجمون مهسهسين عليهما —

ادغار ابليس اللعين يعض ظهري .

بهلول مجنون من يثق في ألفة ذئب ، أو صحة فرس ، أو حب فتى ، أو يمين بغي .

لير سأفعلها ! سأحاكمهما على الفور .
(لادغار) تعال إجلس هنا ، أيها القاضي العالم .
(لبهلول) وأنت أيها السيّد المفكر ، إجلس هنا . والآن ، أنتما يا ثعلبتان !

ادغار أنظر اليه واقفاً يحملق ! (٥٠) أتريدين من يشاهد المحاكمة يا سيدتي ؟
بسي ، من على النهر تعالي ، —

بهلول (يغني) الزورق عندها مثقوبُ

(٥٠) أحد الشياطين الذين يلاحقونه ، أم انه لير ؟

والقفط عندها محجوبُ

فما نَفْعُ القولِ : تعالي ! (٥١)

ادغار ابليس اللعين يلجّ بتوما المسكين في زقزقة بلبل . وهُبْدانْس يصيح في بطن توما طالبا سمكتين بيضاوين . لا تنعق، يا ملاكاً أسود ، لا طعام لك عندي .

كنت . كيف أنت يا سيدي ؟ لا تقف مشدوهاً هكذا :

إضطجعْ واسترح على الوسائد .

لير أريد محاكمتهما أولا . أحضروا الشهود عليهما .

(لادغار) يا ذا الرداء يا صاحب العدالة ، خذ مكانك (٥٢)

(لبهلول) وأنت يا قرينه في القسطاس ،

إجلس بقربه . (لكنت) وأنت عضو في الهيئة ،

تفضل بالجلوس .

ادغار لنحكم بالعدل .

أنائمٌ أم يَقِظٌ أيها الراعي اللعوب ؟

أغنامُك بين السنابل هائمة :

أفتؤذي نفخةٌ من شفتيك الحلوتين

أغنامك البيضاءَ وهي ترعى سائمة ؟

بررررر ... الهرّة شهباء . (٥٣)

لير حاكم هذه أولا ، إنها غونريل . إني أقسم أمام مجلس الكرام هذا ، أنها رفست الملك المسكين أباها .

بهلول إقتربي يا سيدة . هل اسمك غونريل ؟

لير لن تستطيع النكران .

---

(٥١) من أغنية معاصرة .

(٥٢) ادغار مدثر ببطانية يشبهها لير برداء القاضي ، وفيما بعد بلباس المجوسي (الفارسي) .

(٥٣) يشير ادغار باستمرار إلى العفاريت (الشياطين) التي يزعم انه يراها . لكل منها اسمه ، وهي تتخذ أشكالا مختلفة ، على نحو ما كانوا يعتقدون أيام شكسبير ، بما في ذلك شكل الهرة .

بهلول أرجو عفوك ، حسبتُكِ كرسياً .
لير وهذه أخرى ، يعلن محياها الملتوي
عن المعدن الذي صُنع منه قلبها . أوقفها هناك !
إلى السلاح ، السلاح ! سيوفكم ، والنار ! فساد في المكان !
أيها القاضي الكاذب ، لماذا سمحت لها بالهرب ؟
ادغار رحمة على مواهبك الخمس !
كنت أواه ! سيدي ، أين الآن ذاك الصبر الذي
طالما تفاخرت بأنك تتحلى به ؟
ادغار (جانبياً) جعلت دموعي تنحاز اليه حتى
أخذت تفسد عليّ تنكّري .
لير الكلاب الصغيرة ، كلها ،
تراي ، وبلانش ، وحبيب ، كلها تنبح عليّ .
ادغار سيضربها توما برأسه . يا أجْراءُ ابتعدي !
أسودَ الفم كنتَ يا كلبُ ، أم أبيضَه ،
وإن تكن سامّ النيوب إذا عضضت ،
سلوقياً أو هجيناً ضارياً ،
كلبَ صيد أو كلب بيت ، وحشياً أو أليفاً ،
أبترَ الذيل أو تسحل الذيل وراءك —
ليجعلنك توما تولول وتصيح !
إذا ما ألقيت برأسيَ ، هكذا ، (٥٤)
ولت الكلاب مهروعةً أدبارَها .
دو ، دي ، دي ، دي ، .. يلاّ ! هلموا إلى المناحات ومباهج الأسواق
وملتقى الباعة والشّراة ! توما يا مسكين ، قرنُك فد نضب .

---

(٥٤) يحمل ادغار حول عنقه قرن جاموس ، وهو جزء من تنكره كمتسول معتوه . وقد يضعه على رأسه حين يتظاهر بالهجوم على الكلاب الموهومة ، فيفزعها .

لير	إذن فليشرّحوا ريغن ، وليروا ما الذي يتوالد حول قلبها . هل في الطبيعة سبب لصنع هذه القلوب القاسية ؟ (لادغار) أنت يا سيدي ، إني استخدمك واحداً من رجالي المئة ، ولكن لا يروق لي طَرْزُ ثيابك . ستقول إنها فارسية . عليك بتغييرها .

كنت	مولاي الكريم ، إضطجع هنا واسترح قليلا .

لير	لا ضجيج ، لا ضجيج . أسدلوا الستائر . هكذا . ستتمشى في الصباح .

بهلول	وأنا سأرقد في الظهيرة .

يدخل غلوستر ثانية

غلوستر	اليك يا صاح : أين مولاي الملك ؟

كنت	هنا يا سيدي . ولكن لا تزعجه . لقد فقد عقله .

غلوستر	أرجوك يا صاحبي أن تحتضنه ،
فقد سمعتهم يتآمرون على موته .
لدينا نقّالة جاهزة . اضجعه فيها ،
واهرع إلى دوفر ، يا صاح ، حيث ستلقى
الترحيب والحماية . إرفع سيدك .
إن أنت ماطلت نصف ساعة أخرى ، فإن حياته
وحياتك ، وحياة كل من يتطوع للدفاع عنه ،
عرضة لضياع أكيد . إرفعه ، إرفعه .
واتبعني ، فأقتادك مسرعاً
إلى شيء من مؤونة .
هجعت الطبيعة المرهقة .
لعل في هذه الرقدة بلسماً لأعصابك المحطّمة
التي ، إن حُرِمَتْ راحتها ،
ربما أعياها الشّفاء . (لبهلول) تعال ساعدني
في حمل سيدك .

يجب ألا تتخلّف هنا .

غلوستر هيّا ، هيا بنا

(يخرج كنت وغلوستر والبهلول وهم يحملون الملك)

ادغار حين نرى أخيارنا يقاسون أحزاننا ،
نكاد ننسى أن ويلاتنا أعداؤنا .
كل من عانى وحده ، عانى الأشدّ بنفسه ،
عازفاً عن الخليّ من الشؤون والبهرجة .
لكن النفس ما أكثر ما تتخطى من عذاب
حين تلقى في الشجى أتراباً حزانى معها .
ما أخف آلامي عبئاً إذ أرى
أن الذي يُبهظ كاهلي ينحني له ظهر الملك !
وابنتاة كأبي . عليك بالهرب ، يا توما !
تنبّه لجعجعة العليّين ، واكشف عن نفسك
عندما الأراجيف التي لوثتك بظلمها
تنقض حكمها ، برهاناً على حقك ، وتصالحك .
مهما يحدث اليوم من مزيد ، فلينجُ الملك !
واختبيء ، يا هذا اختبيء !

(يخرج)

المشهد السابع

حجرة في قلعة غارستر . يدخل كرنوول ، وريغن ، وغونريل ، وادموند ، وخدم

كورنوول (لغونريل) إركبي بسرعة إلى اللورد زوجك ، وأطلعيه على هذه الرسالة :
جيش فرنسا قد نزل ببرّنا . إبحثوا عن الخائن غلوستر .

ريغن اشنقوه فوراً .

غونريل إقلعوا عينيه .

كورنوول دعوه لنقمتي . ادموند ، رافق أختنا . فما لا بد لنا من فعله بأبيك الخائن انتقاماً ، لا يليق بك أن تراه . وأشر على الدوق الذي أنت ذاهب اليه بالتأهب الحثيث ، فنحن نتهيأ لمثله . ولتكن الرسل على الخيل بيننا سريعة كثيرة الخبر . وداعاً يا أختي العزيزة . وداعاً أيها اللورد غلوستر .

يدخل ازوالد

ها ! أين الملك ؟

ازوالد نقله سيدي اللورد غلوستر من هنا :
فقد التقاه بالباب خمسة أو ستة وثلاثون
من فرسانه ، بعد أن دأبوا بالبحث عنه .
وراحوا به مع بعض من أتباع اللورد
صوب « دوفر » حيث يتباهون
بأن لهم أصدقاء مسلحين خير سلاح .

غونريل وداعاً ، أيها اللورد العزيز ، ويا أختاه .

كورنوول ادموند ، وداعاً .

(يخرج غونريل وادموند وازوالد)

روحوا ابحثوا عن الخائن غلوستر :
أوثقوه كاللص ، وجيئوا به أمامنا .

(يخرج بعض الخدم)

نحنُ قد لا يحق لنا أن نحكم على حياته
بغير شكليات العدالة ، غير أن سلطتنا
ستنحني لغضبنا الذي قد يلومنا
عليه الناس ، ولكن دون التحكم به . من هناك ؟ الخائن ؟

يعود بعض الخدم ومعهم غلوستر سجيناً

ريغن الثعلب الجاحد ! إنه هو .

كورنوول أحكموا ربط ذراعيه الذابلتين !

غلوستر ما هذا يا سادة ؟ أيها الصحب تذكروا

إنكم ضيوفي هنا . لا تخونوا العهد أيها الصحب .

كورنوول قلت اربطوه !

(يربطه الخدم)

ريغن شدوا الوثاق ! أيها الخائن القذر !

غلوستر مهما قسوت يا سيدة ، لست أنا بخائن .

كورنوول اربطوه بهذا الكرسي . سترى يا وغد —

(ريغن تنتف لحيته)

غلوستر وحق الآلهة الكرام ، عيب عليك
أن تنتفي لحيتي .

ريغن شائب ، وخائن !

غلوستر أيتها الشريرة ،
هذي الشعرات التي تجتثينها من ذقني
ستحيا وتتهمك . إني مضيفك :
فكيف تعبثين بمحيا المضيف هكذا
بيد كأيدي اللصوص ؟ ما الذي نويتم عليه ؟

كورنوول قل يا سيد ، ماذا استلمت مؤخراً من رسائل من فرنسا ؟

ريغن بسّط الجواب ، لأننا نعرف الحقيقة .

كورنوول وما تآمرك مع الخونة الذين
وطئوا أخيراً أرض المملكة ؟

ريغن إلى يد من أرسلت الملك المجنون ، تكلم .

غلوستر لقد كتبت رسالة تكهّناً ،
جاءت عمّن قلبه في حياد
لا عن رجل معارض .

كورنوول حيّال !

ريغن وغدّار !

كورنوول أين أرسلت الملك ؟
غلوستر إلى دوفر .
ريغن ولمَ إلى دوفر ؟ ألم تُحذَّر مهدَّداً —
كورنوول لم إلى دوفر ؟ ليجب على ذلك .
غلوستر موثق أنا بالخشبة ، وعليّ بتحمل الكلاب .
ريغن لم إلى دوفر ؟
غلوستر لأنني أبيت أن أرى أظفارك القاسية
تقتلع عينيه المسكينتين ، أو أختك الضارية
تطعن بنواجذها الخنزيرية جسمه الممسوح .
لكان البحر ، في عاصفة كتلك التي عاناها
رأسه الحاسر في ليل بهيم كالجحيم ، يجيش ويعلو
ويطفيء نيران النجوم .
ولكنه ، يا لهف قلبي ، راح يحث السماء على المطر .
لو أن الذئاب أعولت ببابك تلك الساعة الرهيبة
لقلت : « أدرِ المفتاح ، أيها البواب الكريم . »
ما من قساة غيرك إلاّ واستجابوا ، ولكنني سأرى
الانتقام المجنّح ينزل باولاد مثلكما .
كورنوول لا ، أبداً لن ترى ! يا قوم ، امسكوا بالكرسي
سأطأ بقدمي عينيك هاتين .

(يسمل إحدى عينيه)

غلوستر من يطلب العمر الطويل ،
فلينجدني ! أيها القاسي ! أيتها الآلهة !
ريغن الناحية الواحدة تهزأ بالأخرى . عليك بالأخرى
كورنوول إن كنت ترى الانتقام —
الخادم ١ كفّ يدك يا سيدي .

لقد خدمتك منذ طفولتي ،
ولكن لم أخدمك يوماً خيراً
من أن آمرك الآن بالكف عنه .

ريغن ماذا تقول ، يا كلب !

الخادم ١ لو كانت لك لحية على ذقنك ذلك
لجررتها في هذا الشجار .

ريغن ماذا تعني ؟

كورنوول خادمي !

(يجرد كلاهما سيفه ويتقاتلان)

الخادم ١ هلّم إذن ، وجازف بالغضب .

ريغن (لاحد الواقفين) أعطني سيفك . أقروي يتحدّى !

(تأخذ سيفاً وتهوي عليه من الخلف)

الخادم ١ آه ، قتلتني ! سيدي ، لك عين باقية
لترى قصاصاً يحلّ به — آه !

كورنوول لئلا ترى المزيد ، فلأمنعها . أخرج ، أيها الهلام النجس !

(يسمل عين غلوستر الأخرى)

أين بريقك الآن ؟

غلوستر الكلّ ظلام ولا عزاء ، أين ابني ادموند ؟
ادموند ، أشعل كل ما في الطبيعة من شرر ،
إزاء هذه الفعلة الخسيسة .

ريغن أخرج ، أيها النذل الخائن !
أتستنجد رجلا يكرهك ؟ إنه هو الذي
فاتحنا بخيانتك ،
وهو أكرم من أن يشفق عليك .

غلوستر يا لحماقاتي ! إذن ، لقد ظُلم ادغار .
أيتها الآلهة الرحيمة ، إغفري لي ، ووفقّيه !

ريغن إذهب والق به خارج الأبواب ، وليشمّ
دربه إلى دوفر بأنفه !

(يخرج أحدهم مع غلوستر)

ما الأمر يا مولاي ؟ كيف أنت ؟

كورنوول لقد جُرحت . اتبعيني يا سيدتي .
اطردوا ذلك النذل الأعمى ، وارموا هذا العبد
على المزبلة . ريغن ، إني أنزف بكثْرة .
جاءني الجرح في غير حينه . أعطني ذراعك .

(يخرج كورنوول، تقتاده ريغن)

الخادم ٢ لن أحجم عن أي موبقة
إن أصاب هذا الرجلُ أيَّ خير .

الخادم ٣ إن عاشت طويلا
لتلقى في النهاية موتها كسائر البشر
تحولت النساء كلهن إلى وحوش ضاريات .

الخادم ٢ لنلحق بغلوستر الشيخ ، ونجعل توما المجنون
يقوده أينما شاء . فلأنه مجنون وشريد
له أن يفعل ما يعنّ له .

الخادم ٣ هيّا . سأحضر بعض الكتان وبياض البيض
لوضعه على وجهه الدامي . كانت السماء في عونه .

(يخرجان كل من ناحية)

الفصل الرابع

المشهد الاول

الفلاة . يدخل ادغار

ادغار

خير لي أن أبقى هكذا ، وأعلم أني مزدرى ،
من أن يزدروني ويتملقوني ، وأنا في أسوأ شدّتي. (٥٥)
أحط من القى الدهر به
يحدوه الأمل في كل ساعة ، وما عاد يحيا خائفاً :
ما المرّ إلا تبدّل الحال من الرخاء ،
وما الشدّة إلاّ إلى الضحك عائدة . إذن ، مرحباً
يا ريحاً أعانقها وإن تكن بلا جسد :
هذا الشقي الذي هببتِ به لشدّة
ليس مديناً بشيء لهبّاتك كلها . ولكن من القادم ؟

يدخل غلوستر يقوده شيخ مسن

أأبي ، يُقاد زرياً هكذا ؟ دنيا ، أيا هذه الدنيا !
لولا تحوّلك العجيب يبغضك الينا
لما انصاعت حياة لشيخوخة !

الشيخ

سيدي الكريم ،

(٥٥) حول هذه العبارة خلاف بين الباحثين الشكسبيريين من حيث النص . يبدو أن ما يرمي إليه ادغار هو أنه يؤثر تنكره كشحاذ مزدري ، فلا يهمه الازدراء لأنه لا يصيب شخصه الحقيقي ، على أن يكون في شدته ، يتملقونه ظاهراً ولكن يزدرونه على كل حال .

لقد كنت من تابعيك ، وتابعي أبيك ،
لثمانين حولا انقضت .

غلوستر إليك عني ، يا صاحبي ،
ما في عزائك لي أي نفع ،
وهو قد يُضرّ بك .

الشيخ ولكنك لا ترى سبيلك .

غلوستر لا سبيل لي ، فلا حاجة بي إلى عينين .
كنت إذ أرى أتعثر . (٥٦) ما أكثر ما نرى
أنّ يُسْرنا ينسينا الحذر ، ونواقصنا
تصبح لنا هي الفوائد . آه ، يا ولدي الحبيب ادغار ،
يا طعاماً لغضب أبيك المخدوع ،
لو كان لي أن أراك باللمس مني
لقلت عادت إليّ عيناي !

الشيخ ماذا ؟ من هناك ؟

ادغار (جانبياً) يا آلهة ! من يستطيع القول « إني في أسوأ شدتي » ؟
لم أكن يوماً في شدة كهذه .

الشيخ هذا المسكين توما المجنون .

ادغار (جانبياً) ولعلني صائر إلى حال أشدّ : ما بلغنا من شدة أسوأها
ما دام بوسعنا القول : « هذا اسوأ الشدّة » .

الشيخ أين ذاهب أنت يا غلام ؟

غلوستر أشحاذ ؟

الشيخ مجنون وشحاذ .

غلوستر فيه بقية من عقل ، وإلاّ لعجز عن التسول.
في عاصفة الليلة الماضية رأيت غلاماً مثله

---

(٥٦) هذا التضديد أحد المنطويات الرئيسية في هذه المأساة .

جعلني أفكر بأن الإنسان دودة .
وعندها خطر ابني ببالي . ولو أن الود لم يكن
ما أضمر له . لقد سمعت المزيد منذ ذلك الحين :
كالذباب للصبية العابثين نحن للآلهة ،
يقتلوننا ملهاةً لهم .

ادغار (جانباً) كيف ذلك ؟
ما أحطّها مهنةً أن يُلزَم المرءُ بدورِ معتوهٍ إزاء الحزين ،
مغضباً نفسه والآخرين . (بصوت عال) بوركتَ يا عم !

غلوستر أهو الغلام العاري ؟

الشيخ أجل ، مولاي .

غلوستر إذن ، أرجوك أن تذهب . وإن شئت ، من أجلي ،
أن تلحق بنا مسافة ميل أو اثنين
في الطريق إلى دوفر ، فافعل لما بيننا من ودّ قديم .
واجلب بعض الكساء لهذا الآدمي الأجرد —
فإني سأتوسل اليه أن يقودني .

الشيخ وا أسفاه يا سيدي ! إنه مجنون .

غلوستر إنه لبلاء الزمان ، حينما العميان يقودهم المجانين. (٥٧)
فاسمع ما أمرتك به ، أو افعل ما يروق لك .
إنما المهم : إذهب !

الشيخ سآتي اليه بابهى حلة لديّ ،
وليكن ما يكون !

(يخرج)

غلوستر إسمع ، أيها العاري —

ادغار توما المسكين بردان . (جانباً) تعبت من التنكر .

(٥٧) يجعل غلوستر من وضعه رمزاً لزمانه : يوم يكون الحكام مجانين ، والمحكومون عمياناً .

غلوستر تعال هنا يا غلام .

ادغار (جانبياً) ولكن لا بد لي منه . الف رحمة على عينيك الحلوتين : إنهما تنزفان.

غلوستر أتعرف الطريق إلى دوفر ؟

ادغار كلها ، عبر الحواجز والأبواب ، طريق الخيل ومسار القدم . لقد أفزعتَ توما المسكين وطيّرت رشده : وُقيتَ يا ابن الكرام شرّ إبليس اللعين ! شياطين خمسة حلّت بتوما دفعة واحدة : اوبيديكوت أبو الشبق ، واوبَرْديدانْس أمير البَكَم ، وماهو أبو الحرام ، ومودو ابو القتل ، وفليبرتيجيبت أبو الكشر والنخر ، وقد حلّ هذا بالخادمات والوصيفات . وقيت شرّهم يا عم !

غلوستر هاك ، خذ هذا الكيس ، يا من حطّت بك
بلايا السماء لكل نازلة : يا سماء ، عاملينا دوماً هكذا !
وأشعري كلّ ذي فيضٍ عن حاجته ، متخَماً بالجشع ،
مستعبِداً منك الأمرَ والنهي ، ولا يرى
لانعدام شعوره ، أشعريه سلطانَك فوراً ،
عسى التوزيع يقضي على الزائد من الغنى
وينال كل فرد كفايته . أتعرف دوفر ؟

ادغار نعم يا عم .

غلوستر هناك تلعة ، هامتها العليا قد طأطأت
لتنظر راعبة في البحر المحاط ،
خذني إلى الشفا منها
فأصلحَ من الشقاء الذي تحملُهُ
بشيء ثمين لديّ . ومن ثَمّ
سأكون في غنى عن القيادة .

ادغار أعطني ذراعك :

ليقودنّك توما المسكين .

(يخرجان)

المشهد الثاني أمام قصر دوق ألبني . تدخل غونريل وادموند

غونريل أهلا سيدي . يدهشني أن زوجي الرقيق
لم يخرج للقائنا .

يدخل ازوالد

ها ! أين سيدك ؟

ازوالد في الداخل يا سيدتي ، ولكن لم يتغير رجل قط مثلما تغير .
أخبرته بالجيش الذي نزل في برنا
فابتسم : أخبرته أنكما قادمان
فكان جوابه : « أسوأ فأسوأ » . ولما أعلمته
بخيانة غلوستر ووفاء إبنه ،
صاح بي ، يا أحمق !
وأخبرني بأنني قد عكست الآية :
فهو يُسرّ لما ينبغي أن يمتعض منه
ويمجّ ما ينبغي أن يَسُرّه .

غونريل (لادموند) إذن قف مكانك .
أقعد الخوف بالجبن روحه
فما تجروْ على المخاطرة . ولن يستشعر مهانة
تحتّم عليه الردّ . وما أبدينا في الطريق من رغاب
قد يتحقق . عد إلى زوج أختي يا ادموند .
عجّل بحشوده وكن قائداً لقواته .

أما أنا فعليّ أن أتبادل الشارات مع زوجي ،
فأضع المغزل في يده . وليكن هذا الخادم الأمين
رسولا بيننا . وإن جرأت على المغامرة لصالحك
فقد تسمع عما قريب مني
أمر سيدة خليلة . إلبس هذا . وفر الكلام

(تعطيه قلادة)

أخفض رأسك [٥٨] هذه القبلة ، لو نطقتْ
لقام لها روحك منتصباً في الفضاء .
فكّر ملياً ، والوداع .

ادموند: إني ملك يديك في صفوف الموت.

غونريل: ما أعزّك عليّ يا غلوستر !

(يخرج ادموند)

يا للفرق بين رجل ورجل !
أنت الجدير بخدمات المرأة –
وزوجي الأبله إنما يغتصب جسدي .

ازوالد: سيدتي ، هذا سيدي قادم .

(يخرج)
يدخل ألبني

غونريل: لقد كنت أساوي الصفير منك [٥٩].

ألبني: آه يا غونريل !
إنك لا تساوين الغبار الذي تسفوه
الريح الفظة في وجهك . طبعك أخشاه :
فالطبيعة التي تزدري بأصلها
لا يمكن حصرها ضمن نطاقها باطمئنان .

---

(٥٨) اما لكي تقبله ، أو لكي تضع القلادة حول عنقه .
(٥٩) بناء على مثل يقول : « الكلب الحقير لا يساوى الصفير » .

والمرأة التي تنتزع نفسها وتبترُ غصنها
عن جوهريّ نَسْغها ، لا بد أن تيبس
وتنتهي إلى المحرقة .

غونريل بس ، بس ! القول سخيف .

ألبني لذوي الخسّة تبدو الحكمة والفضيلة خسّة .
ولا تتذوق القواذير إلا نفسها . ما الذي فعلتماه ؟
يا نمرتان ، لا إبنتان ، ما الذي أتيتماه ؟
أب ، وشيخ مسنّ كريم ،
حتى الدب يُجلّه ولو جُرَّ من رأسه ،
جنّنْتماه ! يا للبربرية ، يا للدناءة !
أيُعقل أن صهري الطيّب يسمح لكما بذلك ؟
رجل ، أمير ، وصله الملك بتلك الهبات كلها !
إذا لم تسرع السموات بإنزال
أرواحها المرئية فتكبح جماح هؤلاء المجرمين
فلا بد للانسانية من افتراس نفسها
كما تفعل وحوش البحر .

غونريل يا لك من رجل أبيض الكبد (٦٠) !
ترفع خداً للطمات ، ورأساً للضيم ،
وليس تحت جبينك عين تميّز
بين شرفك وصَغارك ، ولا تعرف
أن المغفّلين هم الذين يشفقون على الأنذال إذ يعاقَبون
قبل اقتراف إساءتهم . أين طبلك ؟
هذا ملك فرنسا ينشر ألويته في ربوعنا الصامتة

---

(٦٠) كان يقال إن كبد الجبان بيضاء كالحليب أو الزنبق .

وراح يهدّد بالخُوَذ المريّشة دولتك ،
وأنت المغفل المتفلسف لا تأتي حراكاً
وتصيح : « وا أسفاه ! ترى لماذا يفعل ذلك ؟ »

ألبني أبصري نفسك ، يا شيطان !
لا يُرى المسخُ الحق في إبليس
على هذا القبح كما يُرى في المرأة .

غونريل مغفّل مغرور !

ألبني إخجلي يا مخلوقةً مُسخت ونكّرت نفسها ،
ولا تتوحّشي مظهراً . لو كان يليق بي
أن أسمح ليديّ هاتين بأن تطيعا دمي ،
لكانتا على أهبة لتمزيق لحمك
وخلع عظامك . فمهما تكوني من شيطان
فإن شكل امرأة يقيك .

غونريل أي وربي ! ورجولتك — أما نزعتها !

يدخل رسول

ألبني ما الخبر ؟

الرسول أيا مولاي الكريم ، لقد مات دوق كورنوول ،
صرعه خادمه وهو يهمّ
بقلع عين غلوستر الأخرى .

ألبني عين غلوستر !

الرسول خادم كان قد رباه ، هزته الرأفة
فاعترض على الفعلة ، ووجّه سيفه
صوب سيده العظيم ، فحنق هذا
وانقضّ عليه ، وفي القتال جندله صريعاً ،
ولكن بعد أن أصابته تلك الضربة المؤذية

التي أسقطته في إثره .

ألبني إن هذا لدليل على وجودكم في العلى ،
يا أرباب العدالة ، يا من تنتقمون بهذه السرعة
من جرائمنا في هذه الدنيا ! ولكن ، مسكين يا غلوستر !
هل فقد عينه الأخرى ؟

الرسول كلتيهما يا مولاي .
هذا الكتاب يا سيدتي يرجو جواباً حثيثاً .
إنه من أختك .

يقدم لها رسالة

غونريل (جانبياً) إن هذا ، من ناحية ، يروق لي .
ولكنها إذ ترملت ، وحبيبي ادغار معها ،
قد تجعل كل ما بنيت في خيالي يتهاوى
على حياتي المقيتة : فمن ناحية أخرى إذن ،
ليس ذا بالخبر الطيّب . (جهورياً) سأقرأ الكتاب وأجيب عليه .
(تخرج)

ألبني أين كان إبنه عندما سملوا عينيه ؟
الرسول قادماً مع سيدتي إلى هنا .
ألبني ولكنه ليس هنا .
الرسول نعم ، مولاي الكريم ، فقد لقيته عائداً من جديد .
ألبني وهل يعلم بهذا المنكر ؟
الرسول أجل ، مولاي . فقد كان هو الذي وشى به ،
وغادر المنزل عمداً لكي يتخذ العقاب
ما شاء من مجرى .
ألبني غلوستر ، إنني أحيا
لأشكر لك ما أبديت للملك من حب ،

ولكي أنتقم لعينيك . تعال يا صاح :
أخبرني بالمزيد مما تعلم .

(يخرجان)

المشهد الثالث — المسكر الفرنسي قرب دوفر . يدخل كنت ومرافق

كنت — ألا تعرف سبباً لرجوع ملك فرنسا بهذه الفجأة إلى بلده ؟

مرافق — أمر ما في الدولة لم ينهه ، فكر به بعد مجيئه إلى هنا ، فيه من بوادر الخشية والخطر على المملكة ما جعل عودته الشخصية ضرورة حتمية [٦١] .

كنت — ومن ترك قائداً وراءه ؟

مرافق — مارشال فرنسا ، مسيو لافار .

كنت — هل فعلت رسائلك في نفس الملكة حتى بدت عليها علائم الحزن ؟

مرافق — أجل ، سيدي . أخذتها وقرأتها أمامي .
وإذا الدمعة بين الحين والحين تسيل كبيرة
على خدها الجميل . ويبدو أنها ملكت نفسها
إزاء عاطفتها التي ، أشبه بالمتمرّد ،
أرادت أن تملك عليها نفسها .

كنت — آه إذن لقد هزّتها !

مرافق — لا لحدّ الغضب . لقد تنافس الحزن والصبر
على أيهما يجعلها أجمل تعبيراً . أما رأيت
الشمس تشرق مع المطر ؟ هكذا كانت بسمتها ودموعها ،

---

(٦١) كان هذا هو التفسير المزعوم للأمور ، ولكن من المستبعد أن يريد لنا شكسبير أخذه بظواهره . فالسبب الحقيقي هو أن كورديليا أفلحت في إقناع زوجها بالتخلي عن محاولة أخذ جزء من المملكة عنوا وبالرجوع إلى بلده ، ليتسنى لها بذلك أن تستخدم جيشه في الدفاع عن أبيها إذا اقتضت الحاجة ، وبذلك تدفع عن زوجها تهمة الغزو .

بل أروع . فتلك البسيمات السعيدة
التي عبثت على شفتها الناضجة بدت وكأنها لا تدري
بالضيوف التي في عينيها ، فإذا غادرت عينيها
تساقطت كلؤلؤ من ماستين . وموجز القول ،
لو أن الحزن يبدو على هذا الحسن في الناس
لكان شيئاً نادراً حبيباً إلى القلب .

كنت ألم تتلفظ بشيء ؟

مرافق الحق إنها ، مرة أو مرتين ، صعّدت كلمة « أبي »
وهي تتنهد ، كأنها تضغط على قلبها .
وصاحت : « أختيّ ، أختيّ ! يا عار النساء !
كنت ! أبي ! أختيّ ! ماذا ، أفي العاصفة ! أفي الليل ؟
أحقاً انعدمت الرأفة ! » وهنا أسقطت
الماء المقدس من عينيها السماويتين ،
وسقت نشيجها ، ثم راحت للتوّ
تعالج حزنها بمفردها .

كنت النجوم ، النجوم التي فوقنا هي التي تتحكم بأخلاقنا :
وإلاّ فكيف ينسل الزوج الواحد وقرينته
نسلا على هذا التباين ؟ ألم تتحدث إليها بعد ذلك ؟

مرافق كلا.

كنت هل كان ذلك بعد رجوع الملك ؟

مرافق بل بعده .

كنت يا سيدي ، إن لير المبتلي المسكين في المدينة .
وهو أحياناً ، في لحظة من الصفاء ، يتذكر
ما نحن فيه ولكنه يرفض الانصياع
لرؤية ابنته .

مرافق　لم ، يا سيدي الكريم ؟
كنت　إن خجلا مستبداً به يصدّه : لقد كانت قسوته
التي حرمت عن كور ديليا بركته ، هي التي دفعت بها
إلى تجربة حظها في الخارج وآلت بحقوقها الغالية
إلى ابنتيه الجائرتين ، وهذه الأمور تلدغ
منه الذهن لدغاً ساماً وإذا شعوره الكاوي بالخجل
يحول دونه ودون كورديليا .
مرافق　وا أسفاه عليه !
كنت　ألم تسمع عن جيوش ألبني وكورنوول ؟
مرافق　بلى ، إنها تزحف .
كنت　حسناً ، يا سيدي ، سأذهب بك إلى سيدنا لير ،
وأتركك لتعتني به . ثمة أمر هام
يقتضي مني التخفي ردحاً من الزمن . (٦٢)
وعندما تعلم من أنا ، لن تندم
على معرفتك هذه بي . أرجوك ،
تعال معي .

(يخرجان)

المشهد الرابع

المعسكر نفسه . طبل وبيارق ، تدخل معها كورديليا وبصحبتها طبيب وجنود

كورديليا　والهفتاه ! إنه هو . لقد رأوه الآن
مجنوناً جنون البحر المحتدم ، يغني بصوت رفيع
وقد تتوّج رأسه بالشاهتْرَج الكثيف وأعشاب الأرض الحريثة ،

---

(٦٢) ولكن شكسبير لا يطلعنا على هذا الأمر .

بالحُمّاض ، والخشخاش ، والقُرّيص ، وزهر المجانين ،
بالبيقة وغيرها من الأعشاب [٦٣] العاطلة التي تنمو
بين سنابلنا المغذية . أرسلوا مفرزة من الجنود
وابحثوا عنه في كل فدان بين الزرع الكثيف
وأعيدوه .. لنراه عيننا .

(يخرج أحد الضباط)

ما الذي بوسع حكمة الإنسان
لاستعادة عقله الفقيد ؟
من يسعفه ، أهبه كل ما أملك خارج نفسي .

الطبيب ثمة وسائل ، يا سيدتي .
فمرضعة الطبيعة الثانية لنا هي الراحة ،
وهي ما تعوزه . ولكي نمدّه بها
ثمة عدة عقاقير فاعلة ، تُغمض قوّتُها
عينَ الألم المبرّح .

كورديليا أيتها الأسرار المباركة ،
يا عقاقير الأرض المجهولة ،
إطلعي مع دموعي هذه ! أسعفي واشفي
هذا الرجل الطيّب في بلواه ! إبحثوا ، إبحثوا عنه .
لئلا يأتي الهَوَجُ الجامح على حياة
تفتقر إلى وسيلة [٦٤] عيشها .

يدخل رسول

رسول أنباء ، يا مولاتي !
الجيوش البريطانية تزحف صوبنا .

---

(٦٣) معرفة شكسبير بالنباتات وأسمائها ومزاياها تكاد تكون مذهلة . والمعتقد أن بعض الأعشاب المذكورة هنا كان يستعمل علاجاً لاوجاع الرأس أو الأمراض العقلية كالصرع ، وغيره .
(٦٤) أي العقل ، الذي لا بد منه لعيش الحياة .

كورديليا نعلم ذلك من قبل . وقواتنا المهيأة واقفة
بانتظارها . أبتاه العزيز !
إني إنما بشؤونك أتكفـّل ،
ولذا فقد رأف ملك فرنسا العظيم
بنواحي وبلجاجة دمعي .
فالذي يحدو سلاحنا ليس الطموح المتنفخ
بل الحب ، الحب الغالي ، وحق أبينا المسنّ .
عساي أن أسمعه قريباً وأراه !

(يخرجون)

المشهد الخامس غرفة في قلعة غلوستر . تدخل ريغن وازوالد

ريغن ولكن هل بدأت الزحفَ جيوشُ زوج أختي ؟
ازوالد نعم يا سيدتي .
ريغن وهو شخصياً هناك ؟
ازوالد بعد كثير من النقاش :
إن أختك أفضل الاثنين جندياً .
ريغن ألم يتحدث اللورد ادموند إلى سيدك في منزله ؟
ازوالد كلا يا سيدتي .
ريغن وما فحوى رسالة أختي اليه ؟
ازوالد لست أدري يا مولاتي .
ريغن يقيناً ، لقد غادرنا مسرعاً في شأن خطير .
لقد كان جهلا كبيراً منا ، عندما اقتلعنا عينيْ غلوستر ،
أن نتركه حياً . حيثما ذهب

حرك القلوب كلها علينا . أغلب الظن أن ادموند
قد ذهب رأفة بشقائه ، لكيما ينهي
حياته المظلمة . وكذلك ، لكيما يتبيّن
قوة العدو .

ازوالد علىّ اللحاق به ، يا سيدتي ، برسالتي .

ريغن جنودنا ستبدأ الزحف غداً . امكث عندنا ،
إن الطرق ملأى بالخطر .

ازوالد لا يجوز لي ذلك يا مولاتي .
لقد ألحّت سيدتي عليّ بالعناية بهذا الأمر .

ريغن وما الذي يدعوها إلى الكتابة لادموند ؟ أما كان بإمكانك
أن تنقل اليه مشيئتها شفهياً ؟ ألعل
شيئاً ما — لست أدري ما هو .. سأمحضك جزيل الودّ
إن تدعني أفضّ الرسالة .

ازوالد مولاتي ، لكنت أفضل —

ريغن أنا أعلم أن سيدتك لا تحب زوجها ،
بل أنا واثقة من ذلك : ولما كانت هنا آخر مرة
أعطت ادموند النبيل غمزات غريبة
ونظرات ناطقة . وأنا أعلم أنك نَجِيّ أسرارها .

ازوالد أنا ، يا مولاتي ؟

ريغن إني أتكلم عن فهم . أنت نجيّها ، أنا أعلم .
ولذا فإني أنصحك ، وعليك بما أقول :
لقد مات سيدي ، وقد تحدثنا أنا وادموند ،
وهو ليدي أنسب منه
ليد سيدتك . ولك أن تستنتج المزيد .

فإذا وجدته ، أرجوك أن تعطيه هذا [٦٥]
وعندما تسمع سيدتك هذا كله منك ،
أرجوك أن تطلب اليها أن تعود إلى رشدها .
فاذهب مع السلامة .
وإذا اتفق لك أن ترى ذلك الخائن الأعمى
فإن الترقية من نصيب كل من يغتاله .

ازوالد: ليتني ألقاه يا مولاتي ، فأبرهن
أيّ فريق أتّبع !

ريغن: مع السلامة .

(يخرجان)

المشهد السادس

منطقة ريفية قرب دوفر . يدخل غلوستر وادغار مرتديا زي قروي

غلوستر: متى أبلغ قمة ذلك التل ؟

ادغار: إنك تتسلقه الآن . ألا ترى جهدنا ؟

غلوستر: ولكن يخيّل إليّ أن الأرض مستوية .

ادغار: بل صاعدة جداً :
اصغ ! أتسمع البحر ؟

غلوستر: لا ، وأيم الحق .

ادغار: إذن أخذ النقص يتطرق إلى حواسك الأخرى
بسبب آلام عينيك .

غلوستر: قد تكون على حق .
يخيّل إليّ أن صوتك قد تغيّـر ، وجعلت تنطق
بعبارة أفضل ومادة أرجح من ذي قبل .

(٦٥) قد تسلمه كتاباً ، أو شيئاً يرمز إلى ما بينها وبين ادموند من علاقة .

ادغار إنك جدّ مخدوع ، فأنا لم أتغير في شيء
سوى ملابسي .

غلوستر يخيل إليّ انك أحسن نطقاً .

ادغار هلمّ يا سيدي ، هذا هو المكان . لا تتحرك !
رهيبٌ مدوّخٌ إرسالُ البصر إلى ذاك القرار السحيق !
والغربان والزيغان الّتي تطير في منتصف العلوّ منه
تكاد لا تبدو بحجم الخنافس . في أواسط المنحدر
تشبث رجل يجمع الشّمرة — عمل مخيف !
لا أحسبه يبدو أكبر من رأسه .
أما الصيادون السائرون على الساحل
فيظهرون كالفئران ، وتلك السفينة الفارعةُ الراسية
قد تقلّصت إلى حجم زوارقها ، وتقلص زورقها إلى عوامة
تكاد لا تُرى لضآلتها . والموج المغمغم
وهو يضرب حانقاً جَرْدَ ملايين الحصى
لا يُسمع من هذا الارتفاع . لن أنظر بعد ،
لئلا يدور دماغي ، ويهوي بي
نظري الحسير إلى الأعماق .

غلوستر ضعني حيث أنت واقف .

ادغار أعطني يدك ، إنك الآن على بعد قدم
من أقصى الشفير : لو أعطيتُ كل ما تحت القمر
لما قفزت إلى الأعلى .

غلوستر أطلق يدي .
هاك يا صاح كيساً آخر ، فيه جوهرة
يحسن بالفقير أخذها . أفلح بها
بعون الجن والآلهة ! إبتعد عني بعد ،

ودّعني ، واجعلني أسمعك تنصرف .

ادغار مع السلامة ، سيدي الكريم !

غلوستر من صميم قلبي !

ادغار (جانبياً) لماذا أعبث هكذا بيأسه ؟
لكي أشفيه منه .

غلوستر (راكعاً) أيتها الآلهة القادرة !
إني أرفض هذه الدنيا ، وعلى مشهد منكم
ألقي بكربي وبليّتي عني .
لو كان بوسعي المزيد من التحمّل
دون مناقشة لإرادتكم القاهرة ،
لاحترقت فيّ ذبالتي والجزء المقيت
من طبيعتي . إن كان ادغار حياً ، باركيه !
والآن ، يا غلام ، وداعاً !

ادغار أنا رائح ، يا سيدي . الوداع !

(غلوستر يقذف بنفسه إلى الأمام ويسقط على الأرض) .

ومع ذلك فإنني لا أعرف كيف يَسْلبُ الوهمُ
خزينةَ الحياة إذا ما الحياة نفسها أذعنت
للسلب . لو كان حقاً حيث ظن ،
لكان ظنه الآن أمراً مضى . أحيّ أم ميت ؟
ها ، أنت يا سيد ! يا صاح ! إسمع ، انطق !
لعله قد مات حقاً . ولكنه يستفيق .
من أنت يا سيد ؟

غلوستر إليك عني ، دعني أموت .

ادغار لو كنتَ إلاّ هباء ، أو ريشاً ، أو هواء

وأنت تتهاوى قامةً بعد قامة ،
لانفلقتَ كالبيضة ! غير انك تتنفس ،
صَلْبَ الجوهر ، سالماً ، غير دام ، وتنطق !
إن عشر ساريات متراكبة لتقصر عن العلو الذي
سقطتَ منه عمودياً !
حياتك معجزة . تكلم مرة أخرى .

غلوستر ولكن هل سقطتُ أم لا ؟

ادغار من الذروة الرهيبة لجدار البحر الكلسي هذا .
إرفع بصرك إلى الأعلى . حتى القبرة الحادة الحنجرة
لا تُرى عن هذا البعد ولا تُسمع . أرجوك إرفع بصرك .

غلوستر ويحي ! ليس لي عينان .
هل حُرم الشقاءُ الحقَّ
في أن يُنهي نفسه بالموت ؟ كان ثمة بعض العزاء
يوم كان البؤس بمقدوره أن يخادع غضب الطاغية
ويثبّطَ إرادته المتعجرفة .

ادغار أعطني ذراعك :
إنهض ، هكذا . كيف أنت ؟ أتحسّ ساقيك ؟ إنك واقف .

غلوستر أحسن مما ينبغي .

ادغار في قمة التلعة ، ماذا كان ذلك الشيء الذي
افترق عنك ؟

غلوستر شحاذاً شقياً مسكيناً .

ادغار فيما كنت واقفاً هنا في الأسفل ، خُيّل إلي أن عينيه
قمران بدران ، وأن له ألف منخر
وقروناً ملتوية متماوجة كالبحر المرقّم .
لقد كان شيطاناً ما . ولذا ، أيها الأب السعيد ،

قل إن الآلهة النقية التي تصنع أمجادها
من مستحيلات البشر ، هي التي حفظتك .

غلوستر إني لأذكر الآن . من هذه الساعة فصاعداً سأتحمل
البلية حتى تصيح بي
« كفى ، كفى ! » وتقضي . ذاك المخلوق الذي تتحدث عنه
حسبته إنساناً ، وقد كان يكرر :
« الشيطان ، الشيطان » : وهو الذي اقتادني إلى هناك .

ادغار كن حرّ الخواطر صبورها . ولكن من القادم هنا ؟

يدخل لير مكتسياً ، على نحو غريب ، بزهور برية

ما كان العقل السليم قط ليسربل
سيده هكذا .

لير كلاّ ، لن يضاهوني في السكّ والصكّ . أنا الملك بعينه .

ادغار يا لمشهد يخرق الجنب !

لير الطبيعة فوق الفن بهذا الصدد . خذ مثلا أجور الجنود . ذاك الفتى يحمل القوس كالفزاعة : اسحبها بطول ذراع البزّاز يا هذا ! أنظر ، أنظر ! فأر ! كفى ، كفى ! هذه القطعة من الجبن المشوي تفي بالغرض . اليك قفازي الحديدي ، إني أتحدى العمالقة . عليّ بأصحاب المَطارد السمراء . آ ، ما أجمل طيرانك ! على الهدف ، على الهدف . فيو ! قل كلمة السرّ .

ادغار عِتْرَةٌ عَطِرة.(٦٦)

غلوستر ذاك الصوت أعرفه .

لير ها ! غونريل ، بلحية بيضاء ! تملقوني كالكلاب ، وزعموا أن في لحيتي شعراتٍ بيضاءَ قبل أن تنمو السوداءُ فيها (٦٧) . ومهما قلت ،

---

(٦٦) نبات عطري ، كانوا يعتقدون ان فيه شفاء لأمراض العقل .
(٦٧) أي : كان لي حكمة الشيوخ قبل أن تنبت لحيتي .

قالوا « نعم » و « لا » ! ولم تكن «نعم» و «لا» لهم تمسكاً بأهداب الدين . وعندما جاء المطر يبلّلني ، وعندما رفض الرعد أن يكفّ طوعاً لأمري ، هناك اكتشفتهم ، هناك عرفتهم من رائحتهم . هيّا ، ما هم بأصحاب ذمّة : قالوا لي إنني كل شيء . أكذوبة فاضحة ، فأنا لست محصّناً ضد القشعريرة .

غلوستر نبرة ذلك الصوت أذكرها حسناً .
أليس هو الملك ؟

لير أجل ، كل أنملة فيّ ملك : فإذا حملقتُ ، رأيتَ كيف ترتعد الرعيّة . إني أعفو عن حياة ذلك الرجل . ماذا كان ذنبك ؟ الزنى ؟ لن تموت ! أتموت بسبب الزنى ! كلا : حتى البغاثُ يفعلها ، والذبابة المذهّبة الصغيرة تَفْسُق أمام عينيّ . فليتعش الجِماع ! لقد كان ابن غلوستر النغل أرأف بأبيه من بناتي اللواتي وُلدن بين الشراشف المشروعة . عليك بها أيها الشبق ، يميناً وشمالا ! لأنني يعوزني الجنود . أنظر إلى تلك الفتاة الباسمة ، ووجهها بين دبابيس الشعر ينبيء بالثلج ، تتصنّع الحياء ، وتهز الرأس إذا سمعت من اللذة اسمَها . لا ابنُ عِرْسٍ يُقبل عليها ولا الحصان البَطِر ، بشهيّةٍ أضجّ من شهيتها . إنهنّ خُصُنٌ (٦٨) من الخصر فما دونه ، وإن يكنّ من فوق الخصر نساء . ولكن الآلهة لا تملك منهن إلا ما يعلو الزنّار ، وكل ما دونه إن هو إلا ملك الشيطان (٦٩) : هناك الجحيم ، هناك الظلام ، هناك حفرة الكبريت — نار وسَفْعٌ ، ونَتَنٌ وسَقَم . أف ، أف ! ألا تباً لها ! أيها الصيدلي الكريم ،

---

(٦٨) في الأصل Centaurs أي « قناطر » ومفردها « قنطور » ، وهو مخلوق اسطوري نصفه الأعلى إنسان ونصفه الأسفل حصان . فهو يصلح رمزاً للجميع بين العقل وبين الشهوة اللاعقلانية .
(٦٩) كانت إحدى الفئات الهرطقية المسيحية القديمة تعتقد أن الجزء الأعلى من الإنسان من خلق الله ، والجزء الأسفل ، من الزنار فما دونه ، من خلق الشيطان . وكان الكهان يحاولون طرد الشياطين من الأجزاء السفلى من الجسد .

أعطني درهماً من عطر الزَّباد أطيّب به خيالي . هذه النقود لك .

غلوستر آه دعني أقبّل تلك اليد .

لير فلأمسحْها أولا ، إن فيها رائحة الموت .

غلوستر يا قطعةً من الطبيعة تهدّمت ! هذا الكون الكبير
ليهرأنَّ حتى العدم ! أتعرفني ؟

لير أذكر عينيك جيداً . أتغامزني ؟ لا ،
إفعل ما بدا لك يا كيوبيدُ الضرير (٧٠) لن أحبّ .
إقرأ هذا التحدّي . تأمل في خطّه .

غلوستر لو كانت حروفك شموساً كلها ، لما أبصرتّها .

ادغار (جانبياً) لو حدثوني بهذا لما صدقتهم
قلبي يتفطّر .

لير إقرأ

غلوستر أبالمحجر من العين ؟

لير آه ، ها ! أهذا ما تعنيه ؟ لا عينين في رأسك ، ولا نقودَ في كيسك ؟
عيناك شجيّتان ، وكيسُكَ خَلِيّ ! ولكنك ترى كيف تسير الدنيا .

غلوستر أراها بمشاعري .

لير ماذا ، أمجنون أنت ؟ للمرء أن يرى كيف تسير هذه الدنيا من غير عينين .
أنظر بأذنيك : أنظر إلى هذا القاضي وهو يعنّف ذلك اللص التافه .
أصغِ إليَّ بأذنك : ليتبادلا المكان ، واحزَر يا شاطر ، أيهما القاضي
وأيهما اللص ؟ أرأيت كلبَ فلاحٍ ينبح على شحاذ ؟

غلوستر نعم ، سيدي .

لير والمخلوق يركض هرباً من الكلب ؟ لك في ذلك أن ترى مثل السلطة العظيم :
الكلب في الوظيفة مُطاع .

---

(٧٠) كانت صورة « كيوبيد الضرير » تجعل لافتة المبغى .

أيها الشرطي النذل ، إرفع يدك الدموية !
لمَ تجلد تلك البغي ؟ عرّ ظهرك أنت ،
فأنت ملتهب الشبق لتفعل معها
ما أنت تجلدها من أجله . المرابي يشنق الغشاش !
أصغر الرذائل من خلال الثياب المهلهلة يتبدّى ،
أما أرْدِيَةُ الحكّام وعباءاتُ الفِراء فتُخفي كل شيء .
صفّح الخطيئة بالذهب
تتكسّر عليها رمحُ العدالة الصلبة ، فلا تؤذي ،
ولكن سلّح الخطيئة بالخِرَق ، تَخْرُقُها قَشّةُ القَزَم .
ما ثمة من مذنب أبداً ، أقول ، أبداً . ولأشهدنّ على ذلك .
خذها مني ، يا صاح ، أنا الذي أتمتع بالسلطة
لسدّ الشفتين ممن يتهم . إجعل لك عينين من زجاج ،
فتدّعي ، كالسياسي الحقير ،
انك ترى ما لا تراه . آه ، آه ، آه ،
اسحب حذائي . بقوة ، بقوة . هكذا !

ادغار (جانبياً) يا لَلْمزيج من الشَطَحات ،
يا له عقلا في جنون !

لير إن أردت أن تبكيَ حظي ، خذ عينيّ .
أنا أعرفك تمام المعرفة . إسمك غلوستر .
تجمّل بالصبر . لقد جئناها باكين :
فأنت تعلم أننا ، حالما ننشق الهواء أولَ مرة ،
نبكي ونعيط . سأعظ فيك : انتبه .

غلوستر والهف قلبي !

لير عندما نولد نبكي لمجيئنا
إلى مسرح البلهاء الكبير هذا . هذا جذع طيّب !

لكانت مكيدةً بارعة لو حذونا
ثُلّةً من الخيل باللبّاد . سأضعها قيد التجربة ،
وإذا ما جئت اصهاري هؤلاء خلسةً ،
عندها ، اقتلْ ، اقتلْ ، اقتلْ !

يدخل مرافق مع جنود

مرافق — آ ، هذا هو ! أمسكوه . سيدي ،
إن ابنتك العزيزة —

لير — أما من نجدة ؟ ماذا ، أأسيرٌ أنا ؟
إن أنا إلا أضحوكة الدهر . احسنوا معاملتي .
ستُدفع لكم الفدية . جيئوني بجراحين ،
إني مجرّح حتى الدماغ .

مرافق — سيكون لكم كل ما تريدون .

لير — أما من شهود ؟ أبمفردي ؟
إن ذا ليجعلُ من الإنسان إنساناً من دمع
حين تُستخدم عيناه كأصيصين في جنينة ،
ولِتجميع أتربة الخريف . سأموت شجاعاً ، بهياً ،
كعريس أنيق . اي ، وربك ! سأكون مرحاً .
هيا ، هيا . إني ملك ، أيها السادة ، أتعلمون ؟

مرافق — إن كنّا طوع أمركم ، فإنكم ذوو جلالة .

لير — إذن ، فيها الحياة ! تعالوا خذوها ،
تأخذونها إن ركضتم . دى ، دى ، دى ...

(يخرج راكضاً ، والجنود يتبعونه)

مرافق — مشهد يُرثى له في أحط التعساء ،
أما في ملك جليل فاللسان يعجز عنه ! لك ابنة واحدة
تَفْدي الطبيعة من اللعنة الشاملة التي

أنزلتها بها اثنتان أخريان .

ادغار سلام عليك ، أيها السيد النبيل !

مرافق بوركت يا سيدي . ماذا تريد ؟

ادغار هل سمعت شيئاً عن معركة وشيكة ؟

مرافق أمر أكيد ، وعلى ألسنة الجميع . كل من يميز الأصواتَ يسمعه .

ادغار ولكن ، إن تفضلّت ، قل لي
أقريب هو الجيش الآخر ؟

مرافق قريب ، وحثيث السير ، وأول طلائعه
رهن الفكر في أية ساعة .

ادغار شكراً ، سيدي . هذا كل ما هناك .

مرافق ولئن تكن الملكة هنا لسبب خاص ،
فإن جيشها قد تقدم .

ادغار شكراً ، سيدي .

(يخرج المرافق)

هلوستر أيتها الآلهة الوديعة أبداً ، لتكن روحي ملك أيديك !
ولا تجعلي ملاك الشرّ فيّ يغريني
بالموت قبل أن تشائي !

ادغار حسناً تصلّي ، يا أبي .

هلوستر والآن ، أيها الكريم ، من أنت ؟

ادغار رجل جد مسكين ، ذلّه الدهر بضرباته ،
وما عرفت وأحسست من أحزان وشجى
ينزع بي الى الشفقة . أعطني يدك ،
سأقودك إلى مكان تقيم فيه .

هلوستر لك مني جزيل الشكر ،
وبركة سماء وعطاؤها

جزاء لك .

يدخل ازوالد

ازوالد   الجائزة المعلنة ! ما أسعدني !
رأسك ذاك البلا عينين ما أطّر لحما اولا
إلاّ لإثرائي . أيها الخائن الشقي العجوز ،
أذكر خطاياك بايجاز : فقد جُرّد السيف الذي
بحدّه هلاكُك !

غلوستر   فلتُعطِه يدك الصديقة
قوة كافية .

يتدخل ادغار بينهما

ازوالد   أيها القروي الوقح ،
أتجرأ على إعانة رجل أعلنت خيانتُه ؟ إبتعد !
لئلا تصيبك عدوى نصيبه
بما أصيب هو به . أترك ذراعه .

ادغار   لن أتركها ، يا سيد ، دون مبرّر آخر .

ازوالد   أتركها يا عبد ، وإلاّ متّ !

ادغار   إذهب في سبيلك يا محترم ، واترك للمساكين سبيلهم . لو كان لأحد أن يأخذ حياتي بخترةّ ، لقصرت عن عمري هذا باسبوعين . إياك أن تقرب من هذا الشيخ . أحذّرك أن انصرف ، وإلاّ جرّبتُ لأرى أيهما أقوى : بطيختك [٧١] هذه أم هراوتي . إني صريح معك .

ازوالد   اليك عني يا ربيب المزبلة !

ادغار   سأخلع أسنانك ، يا سيد . هلمّ ، مهما تكن طعناتك .

يتقاتلان ويصرعه ادغار

---

(٧١) في الأصل « تفاحتك » ويقصد بها رأسه استهزاء . عبارة ادغار في النص الأصلي يضعها شكسبير بالعامية التي يتكلمها الفلاحون في منطقة سومرست ، ليبقى ازوالد على ظنه بأنه قروي .

ازوالد يا عبد ، قتلتني ! خذ كيسي ، يا قنّ ،
وادفن جسدي ، إن أردت أن تفلح يوماً .
واعط الرسائل التي تجدها معي
لادموند ايرل اوف غلوستر . أطلبه
بين جماعة الانكليز . آه يا موتاً قبل أوانه !
آه يا موت ! (يموت)

ادغار أعرفك تمام المعرفة ، أيها الوغد الخدوم ،
مخلصاً لموبقات سيدتك
بقدر ما تتمنى الرذيلةُ من إخلاص .

غلوستر ماذا ! أمات ؟

ادغار إجلس يا أبي ، واسترح .
ولنرَ هذه الجيوب . قد تكون الرسائل التي ذكرها
أصدقاء لي . لقد مات . ليس يؤسفني
إلا أنه لم يكن له جلاّد سواي. لِنَرَ :
عن إذنك أيها الشمع اللطيف . لا تلومينا يا آداب :
إننا ، لكي نعرف ما في أذهان أعدائنا ، نشقّ قلوبهم .
فأوراقهم أحق بذلك .
(يقرأ)

أذكر ما تبادلناه من عهود . لديك العديد من الفرص للقضاء عليه ، فإذا لم تنقصك الإرادة ، سيتهيأ الزمان والمكان بوفرة . إن هو عاد مظفّراً لم نصنع شيئاً : فأكون عندئذ أنا السجينة ، وفراشه زنزانتي . من دفئها المقيت انقذني ، واملأ مكانه جزاء أتعابك .

زوجتك ، كما أتمنى القول —

خليلتك المحبة
غونريل

يا لبعد المدى في إرادة المرأة !
مؤامرة على حياة زوجها الفاضل ،
والبديل أخي ! هنا ، في الرمال ،
سأطمرك ، وهو المكان اللامقدّس
للفاسقين القتلة . وعندما تحين الساعة
سأبهر بهذه الوريقة الشريرة
بصر الدوق الذي تمّ التآمر على قتله . ولسوف يسرّه
أن أخبره بموتك ، وهذه المكيدة .

غلوستر لقد جُنّ الملك . ما أعند عقلي اللعين
في أنني ما زلت واقفاً ، أحسّ وأعي
أحزاني الجسام ! ليتني فقدت رشادي ،
فتنفصل أفكاري عن همومي ،
وتفقدَ الآلامُ بأوهامها
معرفةَ نفسها .

(طبل يقرع من بعيد)

ادغار أعطني يدك .
أظن انني أسمع طبلا يقرع من بعيد .
تعال ، أبي ، لأنزلك عند بعض الأصدقاء .

(يخرجان)

المشهد السابع خيمة في المعسكر الفرنسي . تدخل كورديليا ، ومعها كنت ، وطبيب ، ومرافق

كورديليا يا لطيبة قلبك يا كنت . أنّى لي أن أحيا وأعمل
لأكافىء طيبتك ؟ ستقصر حياتي عن ذلك

ولن يفي بحاجتي أي كيل .

كنت سيدتي ، أن يُذكر للمرء جميلُه ، جزاءٌ وأكثر .
تقاريري كلها تتوخى الحقيقة المتواضعة ،
لا مسهبةً ولا مبتسرة ، بل هي كما هي .

كورديليا أحسن لباسك .
فهذه المُهلْهَلات تذكّرنا بساعات الشقاء تلك .
أرجوك ، إخلعها .

كنت عفوك ، سيدتي العزيزة .
إن كشفي عن نفسي يفسد عليّ قصدي مبكرا .
فليكن جزائي إنك لا تعرفينني
إلى أن يحين الوقت ، واستنسب أنا ذلك .

كورديليا لك ما تشاء ، يا سيدي . (للطبيب) كيف حال الملك ؟

الطبيب ما زال نائماً ، يا مولاتي .

كورديليا أيتها الآلهة الكريمة ،
هلاّ رتقتِ بالغ الصدع هذا في كيانه المعنّى !
والحواسَّ الرخوة الناشزة هلاّ شددتِها
في أب أحيل طفلا كأبي !

الطبيب أتأذن لي جلالتك
بإيقاظ الملك ؟ لقد نام طويلا .

كورديليا استرشد بعلمك ، وسر
بحكم ارادتك . هل أحسنتم لباسه ؟

يدخل لير على كرسي يحمله الخدم

مرافق أجل ، مولاتي . فإذا كان في نومه العميق
ألبسناه ثياباً قشيبة .

الطبيب رجائي يا سيدتي أن تكوني معنا عندما نوقظه .

إني لا أشك في اتزانه .

كورديليا حسناً .

(موسيقى)

الطبيب تفضلي ، واقتربي . (للموسيقيين في الداخل) إرفعوا صوت موسيقاكم !

كورديليا أبتاه العزيز ! فليجعل الشفاءُ
دواءك على شفتيّ ، ولتُصلحْ هذه القبلة
ما أنزلته أختاي بكرامتك
من عنيف الضرّ والأذى !

كنت ما أرقّك من أميرة عزيزة !

كورديليا لو لم تكن أباً لهما ، لكان في هذا الثلج الأبيض (٧٢)
ما ينتزع الرحمة منهما . أهذا وجه
تقاوَم به الرياح المتصارعات ؟
أو يجابه الرعد برهيب صواعقه ؟
وإذا ما هوى البرق حثيثاً راعباً
ذات اليمين وذات الشمال ، أكان عليك أيها الضائع
أن تترصّده بهذه الخوذة الرقيقة ؟ حتى كلبُ عدوي
ولو عضني ، لآويتُه تلك الليلة
قرب ناري . أبتي المسكين ، وهل راق لك
أن تتكوّخ مع الخنازير وشذّاذ المشردين
في التبن العفِن ؟ يا ويلتاه !
تدهشني أن حياتك لم تدرك ختامها
على الفور ، ولا عقلك . أخذ يُفيق . تكلم اليه .

الطبيب مولاتي ، تكلمي أنت اليه . ذلك أنسب .

---

(٧٢) تقصد شعره الأشيب .

كورديليا	كيف حال أبي المليك ؟

لير	تظلموني إذ تخرجوني من القبر .
أنت روح من الجنّة . أما أنا فموثوق
على عجلة نار ، (٧٣) حتى دموعي
لتُسْمِطُني كرصاصٍ مصهور .

كورديليا	أتعرفني يا أبي ؟

لير	نعم ، إنك طيف . أين كان موتك ؟

كورديليا	ما زال سارحاً ، بعيداً .

الطبيب	لم يكد يفيق بعد . أتركيه قليلا .

لير	أين كُنتُ ؟ أين أنا ؟ أنهارٌ جميل ؟
لقد شططتُ في الوهم . لكنت متّ رأفةً
لو رأيت انساناً آخر على حال كهذه . لا أدري ما أقول .
لن أقسم ان هاتين يداي : لِنَرَ —
إني أحسّ وخز الدبوس هذا . يا ليتني أطمئنّ
إلى حالتي .

كورديليا	آه ، أبي ، أنظر إليّ ،
وارفع يدك وباركني .
لا ، يا سيدي ، لا ينبغي أن تركع .

لير	أرجوكم ألاّ تسخروا مني .
إن أنا إلاّ شيخٌ مأفون خرِف ،
في الثمانين وأكثر ، لا ساعة أكثر أو أقل .

---

(٧٣) يتصور لير أنه في الجحيم ، إذ ان « عجلة النار » ترد في أساطير القرون الوسطى عن المطهر وا لجحيم .

ولأقلها بدون التواء ،
أخشى أنني لست بمالك تمام عقلي .
ولكنني من أمري في شك : فأنا أجهل مطلقاً
ما هذا المكان ، ولستُ بحذقيَ كلّهِ
أتذكر هذه الثياب ، ولا أعلم
أين أقمت البارحة . لا تضحكوا مني :
لأنني وأيم الحق أظن أن هذه السيدة
هي طفلتي كورديليا .

كورديليا نعم ، نعم ، نعم .

لير أبليلةٌ دموعك ؟ أجل . أرجوك ألاّ تبكي .
إن يكن لديك سُمّ لي ، شربتُه .
أنا أعلم أنك لا تحبينني . لأن أختيك ،
فيما أذكر ، قد أساءتا إليّ .
أماأنت فلك بعض العذر ، أما هما ، فلا .

كورديليا لا عذر ، لا عذر .

لير هل أنا في فرنسا ؟

كنت في مملكتك يا مولاي .

لير لا تخدعني .

الطبيب تعزّي ، سيدتي الكريمة . فكما ترين ،
لقدانقضى فيه هوَجُه . ولكن من الخطر
أن تجعليه يملأ ثغرة الزمن الذي ضيّعه .
ناشديه بأن يدخل . ولا تزعجيه بعد
إلى أن يزيد هدوؤه .

كورديليا أيسرّ جلالتكَ أن تنسحب ؟

لير عليكم بتحملي .

ورجائي اليكم الآن ، أن تنسوا وتغفروا . إنني هَرِم خرف .

(يخرج لير ، وكورديليا ، والطبيب ، والخدم)

مرافق هل تأكد يا سيدي أن دوق كورنوول قد صُرع كما قيل ؟

كنت نعم ، ولا ريب فيه .

مرافق ومن قائد قومه ؟

كنت يقال انه ابن غلوستر النغل .

مرافق يقولون إن ابنه المنفيّ ادغار ، هو الآن
مع اللورد كنت في المانيا .

كنت الأخبار قُلَّب . لقد آن لنا أن نتلفت حولنا .
فجيوش المملكة في اقتراب سريع .

مرافق وستكون المعركة الحاسمة ، على الأغلب طاحنة .
وداعاً ، يا سيدي .

(يخرج)

كنت وما تُسفر عنه هذه المعركة سيُنهي
إلى الخير أو الضير ما صنعتهُ مأرباً لي وغاية .

(يخرج)

الفصل الخامس

المشهد الاول	المعسكر البريطاني قرب دوفر . يدخل ، مع الطبل والبيارق ، ادموند ، وريغن ، وضباط ، وجنود ، وآخرون

ادموند (لاحد الضباط) تبين من الدوق إن كان مقيماً على عزمه
أو أن أمراً قد دعاه
إلى تغيير نهجه . إنه كثير التقلب
وتقريع الذات . عد الينا بما استقر عليه .

(يخرج الضابط)

ريغن لا ريب أن رسول أختي قد أصيب بأذى .

ادموند ذلك ما أخشاه ، يا سيدتي .

ريغن والآن ، يا سيدي الحبيب ،
أنت تعلم بما نويته لك من خير ،
قل لي إذن ، ولكن أصدقني ، أصدقني القول :
ألا تحب أختي ؟

ادموند حباً شريفاً .

ريغن ولكن ، ألم تنهج طريق زوجها
إلى المكان المصون ؟

ادموند هذه فكرة تخادعك .

ريغن إني لأخشى انك قد احتضنتها

صدراً لصدر ، بكل ما عندها .

ادموند لا يا سيدتي ، قسماً بشرفي .

ريغن لن أدعها أبداً ! سيدي الغالي ،
لا تكن إلفاً لها .

ادموند إطمئني .
أهي ، والدوق زوجها !

يدخل مع الطبل والبيارق ، ألبني ، وغونريل ، وجنود

غونريل (جانبياً) لكنت أوثر أن أخسر المعركة
على أن تباعد أختي بينه وبيني .

ألبني مرحباً بأختنا الحبيبة !
سيدي ، هذا ما سمعت : لقد انضم الملك إلى ابنته ،
وآخرين غيرها ممن دفعت بهم قسوة حكمنا
إلى الشكوى . ما كنت يوماً جريئاً
في قضية افتقدتُ فيها الشرف . أما في أمرنا هذا ،
فإنه يَعْنينا ، لأن ملك فرنسا يغزو أرضنا ،
لا لأنه يشجع الملك وآخرين غيره ، ممن لديهم
أسباب للمقاومة مشروعةٌ ولها وزنها .

ادموند كلام نبيل ، يا سيدي .

ريغن ولم هذا التعليل ؟

غونريل كونوا يداً واحدة على العدو .
فالمنازعات العائلية الخاصة هذه
ليست هي المسألة هنا .

ألبني فلنخطط نهجنا إذن
مع قدامى المحاربين .

ادموند	سأنضم اليكم حالا في خيمتكم .
ريغن	أختاه ، أتأتين معنا ؟
غونريل	كلاّ .
ريغن	هذا ما يجمل بك . أرجوك ، تعالي معنا .
غونريل	(جانبياً) ها ، إني أعرف الأحجية ! سآتي معكم .

يدخل ادغار

ادغار	إن كنت سموك يوماً قد تحدثت إلى فقير مثلي ،
فاسمع كلمة أقولها .
ألبني	سألحق بكم .

(يخرج الكل سوى ألبني وادغار)

ادغار	قبل أن تخوض المعركة ، إفتح هذه الرسالة .
إن أنت انتصرت ، فليصدحِ النفير
في طلب من جاء بها : فرغماً عما أبدو عليه من بؤس ،
بوسعي أن أبرز بطلا يبرهن
على ما تقوله الرسالة . وإن أنت خسرت ،
إنتهى همك من الدنيا
وانقضت كل مكيدة . كان اليُمْنُ حليفَك !
ألبني	إنتظر ريثما أقرأ الرسالة .
ادغار	لقد حُظِر عليّ ذلك .
فإذا حانت الفرصة ، ما على المنادي إلا أن ينادي
فأظهر من جديد .
ألبني	مع السلامة إذن .
سأقرأ ورقتك .

(يخرج ادغار)

يدخل ادموند ثانية

ادموند	العدو في مدى البصر . جمّع عساكرك .

وهذا تقدير لقوته الحقيقية وجنوده
اعتماداً على استكشافنا المجدّد . ولكنني الآن
أهيب بك أن تسرع .

ألبني سنقابل طارئة الزمن .

(يخرج)

ادموند لقد أقسمتُ لكلتا الأختين على حبي .
وكلتاهما تتوجس من االأخرى توجسَ الملدوغِ
من الأفعى . من منهما آخذ ؟
كلتيهما ؟ واحدة ؟ لا هذه ولا تلك ؟ لن أستمتع بأية منهما
إن بقيتْ كلتاهما حيّة . فإذا أخذتُ الأرملة
حَنِقتْ أختُها غونريل وجُنّت .
ولن أكادَ ألعبُ دوري كما أريد
ما دام حياً زوجُها . إذن سأستغل الآن
سلطته من أجل المعركة . وإذا ما انتهت ،
فعلى التي تريد التخلص منه أن تدبّر
اغتياله على عجل . أما بشأن الرأفة التي
عزم عليها تجاه لير وكورديليا ،
فإنهما حالما تنتهي المعركة ، ويقعان في قبضتنا ،
لن يريا عفوه . لأن وضعي
يقتضي مني الدفاع عنه ، لا المناقشة فيه [٧٤] .

---

(٧٤) ما يأمل فيه ادموند هو أن تقتل غونريل زوجها ألبني ، وبعدها إما أن تقتل أختها ريغن ، أو تقتل هي على يدها ، فيبقى عندئذ حراً لكيما يتزوج تلك التي تبقى على قيد الحياة . وهو يريد موت لير وكورديليا لأن حياتهما ستفسد عليه الفرصة في تسنم عرش المملكة وقد توحدت .

المشهد الثاني

ميدان بين المعسكرين . نفير من الداخل . يدخل مع الطبل والبيارق ، لير وكورديليا ، وجنودهما ، ثم يخرجون (٧٥) ، يدخل ادغار وغلوستر

ادغار هنا ، يا أبي ، إجعل من ظل هذه الشجرة
مضيفك الكريم . وابتهل أن ينتصر الحق .
إن عدت اليك ثانية
أتيتك ببشرى .

غلوستر رافقتك النعمة ، ياسيدي !

(يخرج ادغار)

نفير يليه تقهقر . يدخل ادغار ثانية

ادغار يا شيخ اهرب ! أعطني يدك ، ولنهرب !
لقد هُزم الملك لير ، وأسر هو وابنته .
أعطني يدك . هيا .

غلوستر ولا خطوة ! للانسان أن يَبْلي حتى هنا .

ادغار ماذا ! أعدت إلى أفكارك السوداء ؟ على الناس أن يتحملوا
رحيلهم عن هذه الدار كما تحملوا المجيء اليها :
الأهبة هي الكل (٧٦) . هيا .

غلوستر وهذا أيضاً صحيح .

(يخرجان)

---

(٧٥) بهذا المشهد يرمز شكسبير إلى سير المعركة ، بايجاز شديد . وهو يعتبر المعركة أمراً ثانوياً بالنسبة إلى قصة أبطاله . وإلا لكان اولا ها مجالا أكبر ، كما يفعل في « مكبث » مثلا .

(٧٦) المهم للانسان ، من حيث الموت ، هو أن يكون على أهبة له .

المشهد الثالث

المعسكر البريطاني قرب دوفر . يدخل ادموند منتصراً ، مع الطبل والبيارق ومعه لير وكورديليا اسيرين ، وضباط ، وجنود ، وغيرهم .

ادموند إليّ ببعض الضباط ليأخذوهما : شددوا الحراسة ،
إلى أن تُعلم أولا إرادةُ الكُبَراء
الذين سيحاكمونهم .

كورديليا لسنا نحن بأول من
جرّ على نفسه ، بأنبل القصد ، أوخم العواقب .
ما يأسي إلا من أجلك أيها الملك المعذب .
أما لنفسي ، فلن ألقى عبوس الدهر الخوّون إلاّ بعبوس أشدّ .
أو لن نرى هاتين الابنتين ، هاتين الشقيقتين ؟

لير لا ، لا ، لا ، لا ! تعالي ، نذهبْ إلى السجن .
سنغني كلانا وحدنا كعصفورين في قفص :
فإذا طلبتِ البركة مني ، ركعتُ
وناشدتُكِ الغفران : هكذا سنحيا ،
ونصلّي ، ونغني ، ونروي حكايات قديمة ، ونضحك
على الفراشات المُعَسجدة ، ونصغي إلى أهل الشقاء
يتحدثون بأنباء البلاط . ولسوف نتحدث اليهم أيضاً ،
عمنّ يخسر ومن يربح ، مَن الداخلُ ومَن الخارج ،
وندّعي فهمَ غوامضِ الدنيا
كأننا أرصادُ الآلهة . وسنأتي
في السجن المسوّر على الفئات والأحزاب من وجوه القوم
وهي في مدّها وجزرها مع القمر .

ادموند خذوهما !

لير تضحيات كهذه ، يا ابنتي كورديليا ،
تنثر الآلهة عليها البخور بنفسها . هل أمسكتُك ؟
من يَرُم التفريق بيننا فإن عليه إحضار جمرة من السماء
ليباعد بيننا بالنار ، كالثعالب (٧٧) . جففي عينيك .
ستأكلهم الغيلان لحماً وعظماً
قبل أن يدفعونا إلى البكاء . ولسوف نراهم عجافاً من جوع أولا !
تعالي .

(يخرج لير وكورديليا تحت الحراسة)

ادموند تعال هنا ، يا رائد . إسمع .
خذ هذا الكتاب ، (يعطيه ورقة)
واتبعهما إلى السجن .
لقد رقيتك رتبة واحدة . وإذا صدعت
بما يأمرك به هذا ، شققتَ طريقك
إلى اليسار والنبل . إعلم
أن الناس على هوى زمانهم . فصاحب السيف
لا تليق به رقة القلب . ومهمتك الكبرى
لا تتحمل التساؤل : فإمّا أن تَعِدَ بتنفيذها
أو أن تسعى إلى النجاح عن طريق أخرى .

الضابط سأنفذها يا مولاي .

ادموند هلمّ إذن . واعتبر نفسك سعيداً حال تنفيذها .
وانتبه — قلت : حالا ، ونفذها

(٧٧) كانت الثعالب ترغم على الخروج من حجورها بالنار والدخان .

كما دونتُها . (٧٨)

الضابط لا أقدر أن أجرّ عجلة ، أو آكل خبز الشعير . (٧٩)
إن تكن هذه مما يفعله الرجال ، فإني لفاعلها .

(يخرج)

نفير . يدخل ألبني ، وغونريل ، وريغن ، وضباط ، وجنود.

ألبني سيدي ، لقد أبديت اليوم شيمةَ الشجاعة فيك ،
وأحسَنَ الحظُّ اقتيادك . لديك الأسيران
اللذان كانا خصمينا في صراع اليوم .
إني أطلبهما منك ، لكي أعاملهما
وفق ما يقرره استحقاقهما وسلامتنا على السواء .

ادموند لقد استحسنتُ يا سيدي
أن أرسل الملك الشقي الهرم
إلى الحبس مع حرّاس معينين .
ففي شيخوخته ، ناهيك عن لقبه ، من السحر
ما ينتزع قلوب العوام إلى جانبه
ويحوّل رماح جنودنا إلى أعيننا
نحن الذين نسوقهم . وقد أرسلتُ الملكة معه ،
للسبب نفسه . وهما مستعدان
للمثول غداً ، أو بعد ذلك ،
حيثما تعقد اجتماعك . أما في هذه الساعة
فإننا نعرق وندمَى ، وقد فقد الصديق صديقه ،
وأفضل الخصام ، إبّان حرارته ، يلعنه
كل من يشعر بحدته .

---

(٧٨) بحيث تبدو كأن كورديليا ماتت انتحاراً .
(٧٩) في الأصل : « الشوفان المجفف » ، أي طعام فقراء الفلاحين .

إن قضية كورديليا وأبيها
لتستوجب مكاناً أليق .

ألبني — عن إذنك ، سيدي ،
فإنني أعتبرك تابعاً في هذه الحرب ،
لا أخاً لي .

ريغن — هذا ما يسرنا أن نُنعم به عليه .
أخالُ أن رأينا كان بإمكانك أن تستوضحه
قبل أن تبلغ هذا الحد في القول . لقد قاد جيوشنا ،
وتحمّل مسؤولية مركزي وشخصي ،
وهذه النيابة عني لها أن تؤهله
فتسميه أخاك .

غونريل — فيم الحرارة هذه ؟
فهو يُعلي من قدره بكرامة شخصه
أكثرَ منه بما أضفيتِ أنت عليه .

ريغن — إنه بما خولتهُ من حقوقي
ليعادل أشرف القوم .

ألبني — لم يبق إلا أن يجعل نفسه زوجك .

ريغن — رب نكتةٍ كانت نبوءة .

غونريل — ويحك ، ويحك !
ما أنبأتك عين بذلك إلاّ وهي حولاء .

ريغن — غونريل ، إني الآن متوعكة ، وإلا لأجبتك
بسيل عارم من الغضب . أيها القائد ،
خذ جنودي ، وأسراي ، وأملاكي ،
وافعل بها ، وبي ، ما شئت . أسواري رهن يديك .
وليشهدنّ العالم أنني بهذا أعيّنك

سيدي وولي أمري .

غونريل أتقصدين التمتع به ؟

ألبني (لغونريل) ليس الإعتراض من شأنك .

ادموند ولا من شأنك ، أيها الأمير .

ألبني بل هو من شأني ، يا ابن السفاح .

ريغن (لادموند) ليقرع الطبل ، ولتعلن أنت أن لقبي لقبك .

ألبني مهلا ، أصغوا إلى العقل . إدموند ، إني ألقي القبض عليك
بتهمة الخيانة العظمى . ومعك ، بالتهمة نفسها ،
هذه الأفعى المذهّبة . (مشيراً إلى زوجته غونريل)
(لريغن) أما هبتك ، يا أختي الحسناء ،
فإني أحجبها حفاظاً لزوجتي .
إنها هي المتعاقدة مع هذا السيد ،
وأنا زوجها ، أناقض إعلانك الزواج منه .
فإن شئت الزواج ، غازليني أنا ،
لأن سيدتي هذه مخطوبة لغيري .

غونريل يا للتمثيلية !

ألبني إنك مسلّح يا غلوستر . ليصدح النفير :
فإذا لم يبرز أحد يثبت بمنازلتك
سوافل خياناتك البيّنة الكثيرة ،
هاك مني التحدي . (يقذف بقفازه أرضاً)
ولسوف أدلّل على قلبك ،
قبل أن أذوق الخبز ، أنك في كل شيء
لا تقل عما أعلنتُه هنا على رؤوس الأشهاد .

ريغن إني أتوجع ، أتوجع !

غونريل (جانبياً) وإلا لما وثقت يوماً بسمّ .

ادموند وهذا جوابي . (يقذف بقفازه)
من يقل إنني خائن ، كالنذل يكذب !
نادوا بالبوق : من يجروْ ، فليتقدم !
ولسوف أدافع عن صدقي وشرفي أقوى دفاع
إزاءه ، إزاءك ، إزاء أي إنسان !

ألبني يا منادي !
توكّل على شجاعتك وحدها . لأن جنودي ،
حُشدوا جميعاً باسمي ، ولا يأتمرون
إلا باسمي .

ريغن مرضي في اشتداد عليّ .

ألبني إنها متوعكة . خذوها إلى خيمتي .

(يخرجون بريغن)
يدخل مناد

تعال هنا ، يا منادي ، — انفخوا في الأبواق —
واقرأ هذا جهورياً .

ضابط صوّتي ، يا أبواق !

صوت أبواق

المنادي (يقرأ)
إن كان ثمة رجلٍ ذو مكانة أو منزلة في عداد الجيش يتحدّى ادموند ، المدّعي بأنه ايرل اوف غلوستر ، فيجابهه على أنه عديد الخيانات، فليبرز عندما تصدح الأبواق ثلاثاً . إن ادموند جريء بالدفاع عن نفسه .
صوّتي ! (بوق أول)
ثانية ! (بوق ثاني)
ثالثة ! (بوق ثالث)

بوق آخر يجيب من الداخل .

يدخل ادغار مسلحاً ، يتقدمه حامل بوق

ألبني سله عن أغراضه ، وفيم ظهوره
عند صوت النفير هذا .

المنادي من أنت ؟
ما اسمك ؟ ما مكانتك ؟ وفيم جوابك
على هذا الاستدعاء ؟

ادغار إعلم أن اسمي قد ضاع ،
عضّه الدود ، وعرقه ناب الخيانة.
غير أنني نبيل نُبْلَ الخصم الذي
جئت أجابهه .

ألبني ومن هو ذاك الخصم ؟

ادغار من هو ذاك الذي يدعو نفسه ادموند ايرل اوف غلوستر ؟

ادموند أنا هو . وماذا تقول له ؟

ادغار جرّد السيف ،
فإن يُسيء كلامي إلى قلب نبيل
انصف نفسك بذراعك . هذا سيفي :
أنظر ، إنه ميزة شرفي
وقسمي ، وفروسيّتي : وإني لأعلنها ،
رغماً عن قوتك ، ومنزلتك ، وشبابك ، وعلوّ قدرك ،
رغماً عن سيفك المظفّر وتوفيقك العتيد ،
رغماً عن جرأتك وبسالتك ، بأنك خائن ،
غدرت بآلهتك ، وأخيك وأبيك ،
وتآمرت على هذا الأمير الرفيع الشهير ،
وانك من اقصى قمة رأسك
حتى التراب الذي تحت أخمص قدمك

خائن ملوث بعارك . وإن قلتَ لا ،
فإن في سيفي ، وذراعي ، وبأسي ، لعزماً
على البرهان عن طريق قلبك ، الذي تراني الآن أخاطبه ،
بأنك تكذب .

ادموند
تقتضي الحكمة أن أسأل ما اسمك .
ولكنّ في مظهرك بهاءً وجرأةً عسكرية
وفي لسانك نَفَساً من كرامة الأصل ،
ولذا فإن ما يحقّ لي وفق شرعة الفروسية ،
أن أؤجله دقةً وحيطة ، احتقره وازدريه .
هذه الخيانات أردّها قذفاً على رأسك ،
وبالأكذوبة المقيتة أغرق قلبك .
ولأنها تزلق وتكاد لا تخدش خدشاً
فإن سيفي هذا سيشق لها على الفور طريقاً
إلى حيث تستقر إلى الأبد ! يا أبواق انطقي !

أبواق . يتبارزان . يقع ادموند

ألبني
لا تجهز عليه !

غونريل
إنها مكيدة ، يا غلوستر ،
فشريعة الحرب ما كانت تلزمك بالرد على
خصم غير معروف . إنك لم تُقهر ،
بل خُدعت وغُدرت .

ألبني
سدّي فمك يا امرأة ،
وإلاّ سددتُه بهذه الورقة ! لحظةً يا سيد .
يا أحطَّ مِن كل شتيمة ، إقرأي اثمك .

(يناولها الرسالة)

لا تمزقيها ! أرى أنك تعرفينها .

غونريل هب انني أعرفها . فالشرائع شرائعي ، لا شرائعك .
من يقدر على اتهامي بها ؟
ألبني يا للمتوحشة !
أتعرفين هذه الورقة ؟
غونريل لا تسلني عما أعرف .

(تخرج)

ألبني إذهب وراءها . إنها يائسة . تدبر أمرها .

(يخرج ضابط)

ادموند كل ما اتهمتَني به فعلتُه ،
وأكثر ، أكثر بكثير . والزمن سيكشف عنه .
لقد انقضى ، كما انقضيت . ولكن من أنت الذي
جئتني بهذا العِثار ؟ إن كنت نبيلا
فإني أغفر لكَ .
ادغار لنتبادل الحسنى .
إني لا أقل عنك محتداً ، يا ادموند .
وإن زدت عليك ، زادت إليّ إساءتك .
إسمي ادغار ، أنا ابن أبيك .
عادلة هي الآلهة ، وهي من لذيذ معاصينا
تصنع أدوات لعذابنا .
فالفعلة الظلماء الخبيثة التي أنطفك بها
كلّفته عينيه .
ادموند على حق أنت .
لقد دار الدولاب دورة تامة . وها أنا هنا .
ألبني خُيّل إليّ أن مشيتك نفسها تنبىء
عن نبل ملكي . يجب أن أعانقك :

وليشطرِ الحزنُ قلبي إن أنا يوماً
أبغضتك أو أباك .

ادغار أعرف ذلك أيها الأمير الكريم .

ألبني أين أخفيت نفسك ؟
كيف علمت بآلام أبيك ؟

ادغار بمواساتها يا سيدي . إسمع هذه الحكاية الموجزة ،
وحين أفرغ منها ، ليت قلبي ينفطر !
تلك الصيحة الدموية بي أن « انْجُ بنفسك »
لصقت بي (يا لحلاوة حياتنا ،
نؤثر ألم الموت في كل ساعة
على الموت مرة واحدة !) — وعلمتني أن أتزيا
بخِرَق المجانين ، واتخذ شكلا
تزدريه حتى الكلاب . وفيما أنا في هذا اللباس
التقيت أبي بحلقتيه الداميتين
وقد فقدتا للتو حجريهما الكريمين . فصرت دليله ،
واقتدته ، وتسولت له ، وأنقذته من اليأس .
يا لغلطتي ! لم أكشف له عن نفسي قط
إلا منذ حوالي نصف ساعة ، عندما تقلدت السلاح
وإذ لم أكن واثقاً من توفيقي هذا ، على أملي فيه ،
طلبت إليه أن يباركني ، وقصصت عليه
محجتي من أولها حتى النهاية : بيد أن قلبه المصدوع ،
والهفتاه ! كان أوهن من أن يحتمل الصراع
بين الأقصيين من العاطفة ، الفرح والحزن،
فتحطم وهو يبتسم .

ادموند لقد هزني كلامك

وعسى أن يؤتي خيراً . أكمل حديثك :
فإنك تبدو وكأن لديك المزيد من القول .

ألبني إن كان لديك مزيد أشد ويلا ، فلا تقله .
إني أكاد أذوب دمعاً
بعد الذي سمعت .

ادغار لكان هذا حداً
للحب لا للحزن . ولكن حزناً آخر
لو أسهبت فيه لتضاعف
وتجاوز كل حد .
ففيما أنا أضجّ بالصياح ، جاءنا رجل
رآني على أبأس حالي
فتنكّب عن عشرتي البغيضة . ولكنه عندما تبيّن
من هو الذي قد قاسى كل ذلك
لفّ ذراعيه القويين حول عنقي ، وصرخ صرخة
كأنما يريد شق عنان السماء ، وألقى بنفسه على أبي ،
وروى عن لير وعن نفسه أفجع قصة
تلقتها أذن إنسان . وإذ راح يرويها
اشتدت عليه حرقته ، وجعلت أوتار الحياة فيه
تتقطع : وعندها صدحت الأبواق مرتين ،
وتركتُه هناك في بُحرانه .

ألبني ولكن من كان هذا الرجل ؟

ادغار كنت ، يا سيدي ، كنت المنفيّ ، وهو الذي تنكّر
وراح يتبع مليكه الذي عاداه ، ويخدمه خدمة
يستنكف عنها العبيد .

يدخل مرافق ، يحمل سكيناً دامية

مرافق النجدة ، النجدة ، النجدة !

ادغار أي نوع من النجدة ؟

ألبني انطق يا رجل !

ادغار ما معنى هذه السكين الدامية ؟

مرافق إنها حارة ، تدخن ،
جاءت من قلب — آه ، لقد ماتت .

ألبني من هي التي ماتت ؟ تكلم يا رجل .

مرافق زوجتك يا مولاي ، زوجتك .
وقد دست السّم لأختها . واعترفت بذلك .

ادموند لقد خطبتُ كلتيهما . وها ثلاثتنا
نتزوج في لحظة واحدة .

ادغار هذا كنت قادم .

يدخل كنت

ألبني أحضر الجسدين ، حيين أو ميتين .

(يخرج المرافق)

حكم السماء هذا يُنزل بنا رعدة الخوف
ولكن لا يثير فينا الشفقة . (لكنت) آ ، أهذا هو ؟
لا يسمح الوقت لنا بالمجاملات التي
يقتضيها الأدب .

كنت لقد جئت
لأسلم على مليكي ومولاي .
أليس هو هنا ؟

ألبني يا للأمر الفادح الذي نسيناه !
قل يا ادموند ، أين الملك ؟ وأين كورديليا ؟

أترى هذا المشهد ، يا كنت ؟

(يؤتى بجسدي غونريل وريغن)

كنت	وارحمتاه ! وما السبب ؟

ادموند	إذن كان ادموند محبوباً :
من أجلي سمّت الواحدة الأخرى
وبعد ذلك قتلت نفسها !

ألبني	بالضبط . غطّوا وجهيهما .

ادموند	إني ألهث لأحيا . أريد أن أفعل خيراً
رغم أنف طبيعتي . أرسلوا إلى القلعة بسرعة ،
واختصروا الوقت . لأنني أمرت
بالقضاء على حياة لير وكورديليا .
هيا ، أرسلوا على عجل .

ألبني	اركض ، اركض ! هيّا اركض !

ادغار	من ، يا مولاي ؟ من له الأمر ؟
أرسل معه شارة العفو .

ادموند	حسنٌ ما تذكرت ! خذ سيفي
وأعطه آمر القلعة .

ادغار	أسرع ما استطعت .

(يخرج الضابط ومعه سيف ادموند)

ادموند	إن لديه أمراً من زوجتك ومني
بأن يشنق كورديليا في السجن
ثم بأن يضع اللوم على يأسها
زاعماً أنها انتحرت .

ألبني	حمتها الآلهة !
احملوه من هنا لفترة

(يحملون ادموند ويخرجون به)

يدخل لير حاملا كورديليا ميتة بين ذراعيه ، وضابط

لير اصرخوا وانتحبوا ! آه ، يا لكم رجالاً من حجارة !
لو كانت لي ألسنتكم وعيونكم ، لأعملتها
أو تتصدعَ قبة السماء . لقد راحت ، إلى الأبد .
أنا أعلم متى يكون المرء ميتاً ، ومتى حياً .
ميتة هي كالتراب. أعيروني مرآة .
فإذا ضبّب نَفَسُها الحجرَ أو لوّثه ،
كانت حية ترزق .

كنت أهذه هي النهاية الموعودة ؟ [٨٠]

ادغار أو صورة ذلك الرعب الأخير ؟

ألبني (مخاطباً السماء) اسقطي وانتهي !

لير هذه الريشة تتحرك . إنها حية ! إن تكن حية
فإنها لفرصة تفدي كل ما مرّ بي
من أشجان وأسى .

كنت (راكعاً) آه يا سيدي الكريم !

لير أرجوك ، إبتعد .

ادغار إنه كنت النبيل ، صديقك .

لير ألا خسئتم كلكم من قتلة وخونة !
كنت ربما أنقذتها . أما الآن ، فقد رحلت إلى الأبد !
كورديليا ، كورديليا ، تريثي قليلا . ها !
ما الذي تقولين ؟ كان صوتها دوماً ناعماً ،
لطيفاً ، منخفضاً ، وما أجمل ذلك في المرأة !
لقد قتلتُ العبد الذي راح يشنقك .

---

(٨٠) أي يوم الدينونة الأخيرة .

الضابط هذا صحيح أيها السادة . لقد فعل ذلك .
لير ألم أقتله ، يا غلام ؟
كنت فيما مضى أجعلهم ينطنطون
بسيفي القاطع الأمين . أما الآن فقد شخت ،
وهذه الهموم نفسها تجرّحني . من أنت ؟
ليست عيناي على ما يرام ، أقولها بصراحة .
كنت إن تباهت ربة الدهر باثنين أحبتهما وأبغضتهما ،
فإننا نرى واحداً منهما .
لير هذا مشهد كئيب . ألست كنت ؟
كنت هو بعينه .
خادمك كنت . أين خادمك كايوس ؟
لير رجل طيّب ، ثق فيما أقول .
ولسوف يضرب ، وبسرعة . لقد مات وبَلي .
كنت لا يا مولاي . أنا ذلك الرجل الذي —
لير سأعتني بذلك حالا .
كنت إقتفى أثر خطواتك الحزينة ،
منذ أن تبدلت بك الأمور وتردّت —
لير أهلا ومرحباً بك .
كنت أنا دون غيري . كل شيء جهم ، مظلم ، فاتك :
كلتا ابنتيك الكُبْرَيَيْن دمّرت نفسها
وكلتاهما ماتت من يأسها .
لير أجل ، هذا ما أظن .
ألبني إنه لا يدري ما الذي يقوله ، من العبث
أن نقدم له أنفسنا .
ادغار لا جدوى ، مطلقاً .

يدخل ضابط

ضابط مات ادموند ، يا مولاي.

ألبني ذاك أمر تافه هنا .
أيها السادة والصحب الكرام ، إعلموا قصدنا :
عظيمُ الحُطام هذا سنُجري له
ما بالوسع من سلوى . أما نحن ،
ما دام صاحب الجلالة الشيخ هذا على قيد الحياة ،
فإننا نتنازل له عن سلطاننا المطلق .
(لادغار وكنت) ولكما نهب حقوقكما
بما يضاف اليها من امتيازات وألقاب يؤهّلكما لها
حُسْنُ ما صنعتما . وليذوقّن كل صديق
جزاءَ فضيلته ، وكلّ عدو
كأس استحقاقه . آه ، انظروا ، انظروا !

لير وبهلولتي المسكينة شنقوها ! لا ، لا حياة !
أينعم الكلب ، الحصان ، الجُرَذ بالحياة ،
ولا يكون لك نَفَسٌ واحد تتنفسينه ؟ لن تجيئي ثانية ،
أبداً ، أبداً ، أبداً ، أبداً !
أرجوك ، فكّ هذا الزر . شكراً ، سيدي .
أترى هذه ؟ أنظر اليها ، إلى شفتيها ،
أنظر هناك ، هناك !

(يموت)

ادغار أغمي عليه ! مولاي ، مولاي !

كنت تحطّم أيها القلبُ تحطّم !

ادغار إرفع عينيك ، يا مولاي .

كنت لا تزعج روحه . دعها تنطلق . فهو يُبغض كل من

	يحاول أن يزيد المطّ من أوصاله
	على مِـخْلعة [٨١] الدنيا القاسية هذه .
ادغار	لقد راح ، حقاً .
كنت	تحمّلُه هذه المدةَ كلّها هو العجب .
	لقد اغتصب حياته اغتصاباً .
ألبني	احملوهما من هنا . شأننا اليوم
	كَرْبٌ عميم . (لكنت وادغار) يا رفيقَيْ روحي ،
	احكما كلاكما في هذه الدولة ، وادعما المملكة الجريحة
كنت	لي رحلة يا مولاي ، قريباً عليّ القيامُ بها :
	سيدي يدعوني ، ولن أرفض دعوته .
ادغار	علينا أن نخضع لوقر زماننا المحزون هذا ،
	وأن نقول ما نشعر به ، لا ما ينبغي لنا أن نقوله .
	أكبرُنا قد فاقنا بما عانى : نحن الشبابَ
	لن نرى كل ما رآه ، لا ولن نُعمّرَ بقدر ما عُمّر .

(٨١) أداة تعذيب كان يمط عليها جسم الضحية في اتجاهين متضادين .

حاشية تاريخية

اعتمد شكسبير في كتابته « الملك لير » على مسرحية أخرى بعنوان « الوقائع الصحيحة لتاريخ الملك لير »، لا يعرف مؤلفها على وجه التأكيد ، ويرجح انها كتبت في اواخر القرن السادس عشر ، ولكنها نشرت عام ١٦٠٥ . أما مسرحية شكسبير فقد نشرت لأول مرة عام ١٦٠٨ ، وأغلب الظن انه كتبها في شتاء ١٦٠٥/١٦٠٦ ، بعد ظهور المسرحية الاخرى بقليل .

وقد حورها ناحوم تيت عام ١٦٨١ ، بحيث جعل نهايتها مفرحة ، وحذف منها دور البهلول نهائياً . وبقيت هذه النسخة المحورة تحتل المسرح طيلة قرن ونصف قرن من الزمان ، إلى ان هاجمها تشارلز لام في اوائل القرن التاسع عشر بمقال مشهور وطالب بالعودة إلى النص الاصلي . وتلاه مشاهير الرومانسيين بدراستها او الاشارة اليها في نصها الأصلي ، امثال هازلت وكولردج وكيتس وشلي . وبذا أعيدت في تمثيلها إلى شكلها الشكسبيري من جديد ، ابتداء من عام ١٨٣٨ . ومنذ دراسة شليغل لها ، عام ١٨٠٨ ، ظهرت لها عشرات الدراسات والتأويلات في انكلترا والمانيا وروسيا وأمريكا . ومن اهم دارسيها المحدثين الناقد الانكليزي ولسون نايت في كتابه « عجلة النار » (١٩٣٠) ، والناقد البولوني يان كوت في كتابه « شكسبير معاصرنا » (١٩٦٥) .